

إرشاد الطالبين

إلى مراتب العلماء العاملين

ومعه

عقيدة أكابر أهل السنة والجماعة للمؤلف



الإمام عبد الوهاب الشعراني

تحقيق

د. محمد عبد القادر نصار   أحمد فريد المزيدي



إرشـــاد الطـالبيـــن

إلى مراتب العلماء والعاملين

و معه

عقيدة أكابر أهل السنة والجماعة للمؤلف

سيدي عبد الوهاب الشعراني

تحقيق

د. محمد عبد القادر نصار   أحمد فريد المزيدي

إرشاد الطالبين

إلى مراتب العلماء العاملين

دارة الكرز
للنشر والتوزيع
Email:darkaraz@yahoo.com
١٧ ش منشية البكري- مصر الجديدة
تليفون وفاكس: ٠٢/٤٥٥١٣٠٤

الكتاب: إرشاد الطالبين.

المؤلف: سيدي عبد الوهاب الشعراني.

الناشر: دارة الكرز للنشر والتوزيع.

الطبعة الأولى: ٢٠٠٦

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/١٦٣٨٣

الترقيم الدولي: 977-6156-33-9

طبع في القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هو فوق كل ذي علم عليمٌ، سبحانه جعل العلم أمارة تَمَيزُ الخبيث من الطيب والهدى من الضلال المقيم، وعلامة على توليه أولياءَه المتقين، والجهلَ علامة على حجاب المحجوبين عن حضرة رب العالمين، وخص نفراً بالعلم الغريب الأشرف والسر الخفي الألطف، وفضل بعضهم على بعض درجات في ذلك، فنعم الوهاب ونعم المالك.

وأدعوه تبارك وتعالى أن يصلي ويسلم على سيدنا محمد قاسم المواهب الربانية على العلماء العاملين، وخابر القلوب ومزكيها بسر القرب والتمكين، مَن كان للشعراني شيخاً وجَداً، ومُنْهِضاً لحاله سعياً وجِداً، كيف لا وهو القائل ((حياتي خير لكم ومماتي خير لكم: تعرض عليَّ أعمالكم، فإن وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت غير ذلك استغفرت الله لكم))، فزاد صلى الله عليه وسلم الناسَ بالشعراني رحمة إلى رحمة ونعمة إلى نعمة.

أما بعد

فلما كنت قد تشربت محبة الإمام سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخي العارف بالله السيد جودة المهدي النقشبندي ﷺ وعكفت على كتبه أنهل من موردها العذب آناء الليل وأطراف النهار، وعلمت أن ما طبع من كتبه وتيسر الوصول إليه بحكم هذا الزمان هو بعضها لا كلها ولا جلها، فقد آليت على نفسي إلا أن أتتبع آثاره العلمية لإخراجها لقوم يعقلون.

وكان تيسر لي التعرف على أخي في الله أحمد فريد المزيدي وكان له من الاهتمام بكتب الإمام الشعراني نصيب وافر، فأخذنا نعمل معاً لإخراج ما طوته

دهاليز المكتبات المخطوطة من تراث الإمام معتقدَيْن أن كل كلمة كتبها تستحق الاهتمام حتى لو تكررت في الظاهر من كتاب إلى كتاب، فكان من ثمار ذلك إصدار كتاب ((الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع)) ثم تبعه ((كتاب الميزان الذرية في عقائد أهل الفرقة العلية)) الذي نستعد الآن لإخراجه تالياً لهذا الكتاب، ونفائس شعرانية أخرى نخرجها في حينها إن شاء الله تعالى.

أما عن كتابنا هذا فقد اقتضت لطافتُه وسهولةُ العمل فيه أن يسبق غيره في النشر.

عملنا في الكتاب

وقد تيسر لنا لهذا الكتاب مخطوطتان إحداهما محفوظة بدار الكتب المصرية والأخرى بالمكتبة الأزهرية. وكان الأستاذ أحمد المزيدي تولى جمعه حاسوبياً من المخطوط الأول كما خرج أحاديثه وآيه ووضع التعليقات النافعة تجلو بعض مواضعه.

ثم تولى الفقير إلى الله كاتب هذا التقديم مطابقة ما جمع مع المخطوطة الأخرى. وقد كان هذا العمل نافعاً جداً لكثرة ما في الأول من تصحيف وسقط لا يخلو منه الثاني وإن جاء أسلم من الأول بعض الشيء. ومنهجنا أن نثبت بالمتن ما نراه صواباً من مجموع الأصول، لأن شغل القارئ إنما هو قراءة نص سليم لا يحيل عينيه أدنى الصفحة وأعلاها بحثاً عن المعنى، ونثبت الاختلاف في الحواشي توفية بالأمانة العلمية.

ولم يخل عمل الفقير من تعليقات رأيناها ضرورية لإيضاح معنى أو زيادة معلومة نافعة بحسب ما تيسر لنا من العلم والفهم.

وسيتحقق القارئ بالمطالعة من قدر الجهد المبذول في خدمة هذا النموذج من تراث سيدي عبد الوهاب الشعراني

وعليه فنحن نشير إلى مخطوط دار الكتب في الحواشي بالحرف (أ)، ونشير إلى مخطوط الأزهر بالحرف (ب).

مضمون الكتاب وتاريخ تأليفه:

ألف الإمام الشعراني هذا الكتاب في رجب سنة ٩٣٣ هـ وكان عمره بالحساب الهجري خمسة وثلاثين عاماً، أي أنه ألفه في السنة التالية لتأليف أول كتبه بعد سلوكه على سيدي على الخواص البرلسي ﷺ وهو كتاب ((الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية)) وكان ذلك سنة ٩٣٢. ولا يفصل بين كتابنا هذا و((الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية)) إلا رسالة ((موازين القاصرين من الرجال)) التي طبعت مؤخراً بدار جوامع الكلم بعنوان ((ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى)) ورسالة أخرى أشار إليها في ثنايا ((الموازين)) باسم رسالة ((الأنوار)).

ويلاحظ على الكتب التي كتبها الإمام الشعراني في هذه المرحلة وحتى نهاية ثلاثينات القرن العاشر التأكيد على اختصاص الصادقين من العلماء العاملين بعلوم لا يعلم أهل العلم الظاهر عنها شيئاً، كما يلاحظ أن الإمام كان أكثر انتقاداً لأدعياء التصوف في عصره عما نجده في كتابته المتأخرة التي تتجلى فيها الآداب الشعرانية المستمدة من الأخلاق المحمدية العليا والمشيدة أركانها بسجايا شيوخه سيدي علي الخواص وسيدي إبراهيم المتبولي وسيدي أفضل الدين رضوان الله تعالى عليهم.

هذا الملحظ الدقيق يؤكده ما نص عليه في ختام بعض كتبه من ذكره مناقب من تعرض له بالإيذاء من الظاهرين بالمشيخة بينما نجد في أعماله الأولى حرصاً ظاهراً على بيان أهل الصدق والقدم الراسخ في العلوم اللدنية والمجاهدة السلوكية من المشايخ القاصرين. وهذا ما نجده في رسالة ((الموازين)) المشار إليها آنفاً، وفي ((الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون)) وفي ((آداب العبودية)) وفي ((الأجوبة المرضية)) وفي كتابنا هذا بكل تأكيد.

وهكذا تبدأ صورة محددة المعالم لاهتمامات الإمام الشعراني التصنيفية وتطورات مراتبه السلوكية واستوائه على ساق القطبانية وسباحته في مدارج الفردانية، في الاتضاح. ولا شك أن هذه الملامح ستلجؤنا راغبين إلى عمل دراسة عن مراحل التطور العلمي والصوفي لسيدي الإمام عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره العظيم مع اتضاح المزيد منها.

وقد كان لنا شرف العمل من قبل في كتاب ((مناقب القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني)) لأبي الأنس المليجي. وهذا الشرف يأتينا من جهتين: جهة موضوعه، فلا شك أنه من فضل الله تعالى أن يوفق المرء للاشتغال بسيرة سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ ومناقبه الجمة، وجهة مشاركتنا لشيخ الصوفية سيدي الدكتور جودة محمد أبي يزيد المهدي في تحقيقه.

ولربما ظن من يطالع الكتاب أنه لا يزيد في قسم كبير منه على حشد أسماء علوم تفرد بها العلماء العاملون، بل نحذر القراء من هذا الظن، ففي ثنايا هذه العلوم إشارات لا ينبغي أن يتجاهلها القارئ الطامح إلى النهل من معارف السادة الأولياء بل يرقى بعضها إلى مصاف الحِكم التي تميز بالنطق بها السادة الصوفية. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منها :

علم الدعاة، وأن كل داع إنما يدعو لنفسه، وإن دعا إلى الله، أو إلى غير نفسه فإنما يدعو من حيث نفسه؛ إذ هو يطلب بذلك الدعاء الأنس بالأشكال في المرتبة. اهـ

وطلب الأنس بالأشكال في المرتبة هو طلب النظير المشاكل له في الدعوى وفي الحال ليأتنس به في مرتبته وحاله، وهو نظر دقيق من الإمام ﷺ، لو سلمنا بكونه مجرد نظر وفكر، ولكن هذه العلوم علوم لدنية تنسب إلى الكشف والفيض الوارد على القلب.

والإشارات الواردة في هذه العلوم لا نشك أن الإمام وضعها ليحفز همم السالكين إلى طلب المعالي، فإذا قرأ المبتدئ قوله "ومنها علم مكفرات الذنوب، وماذا يكفر الصلاة، وماذا يكفر الزكاة، وماذا يكفر الصوم، وماذا يكفر الحج، وماذا يكفر الجهاد، وهكذا جميع الفرائض والنوافل"، تعلقت همته بمعرفة هذه المكفرات ليخرج من ذنوبه إلى فضاء رحمة الله تعالى الاختصاصية.

عقيدة المصنف المختصرة من كتاب القواعد الكشفية

ولأننا نعتقد أن كل كلمة كتبها الإمام الشعراني جديرة بأن تيسر للأمة فقد أثبتنا في آخر الكتاب عقيدته المختصرة من كتابه القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية. فمن أشكل عليه أمر في هذا الكتاب أو غيره فليرد المتشابه إلى المحكم من هذه العقيدة التي ينص فيها رضي الله عنها على أن مدار عقيدة أهل السنة والجماعة على عقيدتي الإمامين العظيمين أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي.

خدمتنا لتراث الإمام الشعراني ﷺ

وقد تكررت منا الإشارة في غير موضع من الكتب الأخرى التي صدرت عن دارنا أو عن الدار الشقيقة ((الدار الجودية)) إلى توالي إصدارنا لكنوز الإمام الشعراني التي لربما انتفعت بها أجيال سابقة في سهولة ويسر حتى طوتها مخازن المخطوطات بالمكتبات العامة الحديثة، فلم يعد يتيسر للناس الاطلاع عليها.

وسيصدر قريباً عن دارنا إن شاء الله تعالى كتاب ((الميزان الذرية في عقائد الفرقة العلية)) وفيه من تحقيقات الإمام الشعراني الرائقة ما يدهش ذوي العقول السليمة والطباع المستقيمة.

كما تستعد الدار الجودية إلى إصدار ضخم لواحد من أمهات كتب الإمام الشعراني ﷺ سيكون حديث الوسطين الصوفي والعلمي بل والثقافي بشكل عام إن شاء الله تعالى.

ندعو الله أن ينفع الأمة المحمدية عامة وقارئي هذا الكتاب خاصة بمعارف العارف الشعراني عليه وعلى شيوخنا من الله الرضوان الأتم وأن يوفقنا لخدمة كتب السادة الأولياء العارفين، آمين.

وصلى الله على سيد الوجود ومنبع الحلم والكرم والجود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور محمد عبد القادر نصار

القاهرة في ١٩ رجب الفرد سنة ١٤٢٧ هـ

١٣ أغسطس ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ المصنف

[اللهمَّ لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً][1]، الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والتسليم على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسول الله ﷺ.

وبعد ...

فهذه رسالةٌ شريفةٌ مشتملةٌ على أمورٍ نفيسة ينبغي لطالب العلم ألا يُهمل علم شيء مِنها؛ لخصتها من كلام العارفين أصحاب الدوائر الكبرى رضي الله عنهم أجمعين وسميتها: «**إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين**».

الأمر الأول: بيان كيفية تنـزُّل الصحف والكتب الإلهية، وبيان من أي محلٍّ نزل كل من أحكام الدين الخمسة.

والثاني: بيان حكمة بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بالتكاليف الإلهية.

الثالث: بيان علوم وآداب كاشفة لجهل كل مَن ادَّعى العلم من الفقهاء.

الرابع: بيان سبب مشروعية جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام.

الخامس: ميزان مَن ذاقها، وزَنْ بها كل عملٍ برز[2] على يديه وأعطاه حقَّه.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كُنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وحسبُنا الله

---

(١) هذه العبارة ليست في (ب) ويبدو أنها زيادة من النساخ.

(٢) في (أ): يسر.

ونعم الوكيل، ونحن نذكرها على هذا الترتيب.

فأمَّا بيان الصحف والأحكام الإلهية، فاعلم يا أخي أن جميع ما نزل من الكتب الإلهية إنما نزل من ألواح المحو والإثبات.

وهي التي سمع رسول الله ﷺ صريف أقلامها ليلة الإسراء، وهي تجري بما يُحدث الله في العالم من الأحكام، وعدتها ثلاثمائة وستون قلمًا على عدد درج الفلك، ورتبة هذه الأقلام دون رتبة القلم الأعلى ودون اللوح المحفوظ فإن الذي كتبه القلم الأعلى لا يتبدل، ويُسمَّى اللوح المحفوظ.أعني: من المحو فلا يمحو ما كتبه القلم الأعلى[1] فيه.

---

(١) قال الشيخ العطار في شرح الصلاة الأكبرية: اعلم أن حقيقته ﷺ هي البرزخ بين الوجود والشهود، وذلك في مرتبة التعين الأول، أول مراتب الذات، وقد تقدَّم ذلك في موضعه، ثم إن هذه الحقيقة ظهر ظلها وأثرها بالبرزخ الكائن بين الأسماء والأعيان، وهو حقيقة الإنسان الكامل، فكان مظهر الحقيقة المحمدية وهي باطنة، ثم ظهرت تلك الحقيقة بالعقل الأول: أي أول صابر زمن العلم إلى العين، ويُسمَّى بالقلم الأعلى، وبالقلم النوراني، وبلوح القضاء، وأم الكتاب، وبالنور المحمدي.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري».

وقد يُسمَّى أيضًا بالروح الكلي لإجماله وانطوائه على جميع الأرواح من غير أن يتفضل أو يتميز فيه شيء، بل الكلية لازمة له؛ لكونه مظهر اسم جامع، أعني الرحمن، وحقيقة كلية والمظهر طبق الظاهر.

وقد عرَّف القلم السيد السند قُدِّس سره بأنه: علم التفصيل، فإن الحروف مظاهر تفصيله كانت مجملة في مداد الدواة، ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها، فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف باللوح، وتفصل القلم بها إلى الغاية، يعني القلم هو مجمل لكنه مبدأ التفصيل، فإذا جمع المفصل كان هو القلم، فما خرج عن إجماله هذا.

وقولنا: أول ما برز إلى العيان، يعني بحسب ما يظهر وظهر؛ إذ لهذا القلم وبقية من هو في مرتبته من الأرواح المهيمة صفة القدم من وجهٍ، وصفة الحدوث من وجهٍ، يعني من وجه افتتاح

وجوده عن عدم، فلأوليته وقدمه ذلك بخلاف أزلية الواجب وأوليته، فإنه تنـزَّه في ذلك عن ذلك يعني بحسب التعقل، وإلا فهو أزلي أبدي لا يقبل العدم ولا الحدوث بحالٍ؛ لكونه أثر القديم وحياته الذاتية.

فإن قلت: وكيف يكون قديمًا وحياته ذاتية، وهذان الوصفان للحق تعالى؟

قلت: إن السادة يقولون بالقدم نحو هذا، والفرق بين قدمه وقدم الحق تعالى تأخر نحو هذا مما قيل بأنه قديم في التعقل عن قدمه تعالى، وكون حياته ذاتية بجعل الحق لها كذلك، وحياته تعالى لا تكون بجعل جاعل.

وهذا العقل مظهر الاسم الأول، فالحق تعالى وصف بالأولية في هذا المقام من وراء حجاب هذا العقل.

والفرق بين هذه الأولية الكائنة بهذا المظهر والأولية الذاتية: أن الأولى معناها سبق الوجود، وهذه معناها افتتاح الوجود عن عدم: أي عن عدمٍ متعقل.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل»: أي أول ما قبل أمر التكوين من غير واسطة حيث إنه مجرد ولا مادة له، وليس هو مخلوقًا بالواسطة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥)، حيث إنكم لم تفرقوا بين عالم الأمر وعالم الطبيعة.

فإن قلت: وكيف يكون مخلوقًا وهو قديم، والخلق يقتضي الحدوث؟.

قلت: هو حادثٌ قديمٌ: أي حادث بالحدوث الذاتي، حيث إنه أثر القديم الواجب قديم بالزمان، حيث إنه ليس مسبوقًا بالعدم الزماني.

فإن قلت: فكيف تثبت قدم نحو هذا من المجردات، فهو وإن وُصف بالقدم إلا أنه لا يسابق بوجوده وجود بارئه سبحانه فإن له أزلية الآزال، وليس معه فيها سواه، وقد أُشير إلى هذا، فكيف تعطل صفات الحق تعالى.

وكيف تقول بقوله ﷺ: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين».

فهل عندك سوى الكلام الذي لا طائل تحته، وهذا بحث خارج عن الصدد، ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أنه ﷺ باعتبار سره هو هذا القلم النوراني، فإنه نفس روحه الشريفة بل روح الكمَّل من الأنبياء، لكنه بمحمدٍ ﷺ أتم؛ لأن هذا القلم لإجماله وعدم تفصيله كان أقرب نسبة إلى البرزخ الأول برزخ البرازخ، وهو الحقيقة المحمدية =

فهذه الأقلام تُكتب دائمًا في ألواح المحو والإثبات.

فلهذا دخل النسخ في شرائع، بل في الشرع الواحد، فجميع الأحكام تنـزل من القلم الأعلى إلى اللوح إلى العرش إلى الكرسي إلى السدرة، فإليها ينتهي أعمال بني آدم؛ لأنها هي المرتبة الخامسة، فظهر الواجب من القَلم الأعلى، والمندوب من اللوح، والمحظور من العرش، والمكروه من الكرسي، والمباح من السدرة؛ لأن المباح قسم النفس، فإذا صعدت أعمال بني آدم التي لا تخلو عن أحدِ هذه الأحكام، فلا بُدَّ

= فلذا كان انتسابه للنور المحمدي دون بقية الكمَّل؛ لقوله ﷺ: «وإني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته».

فلتمكنه في هذا المظهر الأول علم أنه خاتم الأنبياء في عالم الأرواح دون بقية الرسل، فإنهم لم يعلموا ذلك لعدم تمكنهم في هذا الروح الكلي.

قال تعالى مشيرًا إلى ذلـك:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ (الرحمن:١، ٣) فالإنسان هو آدم، والذي تعلم القـران هـو محمـد ﷺ: أي ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾، وإن لم يكن هذا مرادًا كان المقام يقتضي تقديم خلق الإنسان على تعليم القـران، والله أعلم.

فكان ﷺ نبي الباطن والظاهر دونهم، فإنهم ما أحسوا بنبوتهم إلا بالظاهر، فكان ﷺ رسول الرسل ونبي الأنبياء، وكانوا نوابًا عنه حيث لم يخرج نبي من الباطن إلى الظاهر إلا بإذنه، وإن هذا الروح الكلي ما ظهر بأحدٍ من الكمَّل كما ظهر بالمزاج الشريف الاعتدالي مزاج المصطفى ﷺ.

فإن قلت: قد أشممنا منك رائحة تناسخ.

قلت: هنا سرٌّ لطيفٌ فإن كنت فطنًا لا يخفي عليك.

ووصف القلم بالنوراني إشارة إلى تجرده عن المادة. وأن هذا النوراني لا يُدرك بالحس، وأنه فوق حكم الطبيعة: أي العنصرية. فإن قلت: وهلا كان أرواح في مرتبة هذا الروح الكلي؟

قلت: نعم، وهم الأرواح المهيمون المعبر عنهم بالعالين بقوله تعالى: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ (ص: ٧٥)، وهم قد هاموا بجماله وجلاله حتى إنهم لم يدركوا سـواه، ولا يعلمـون أنفسهم، فنسبتهم إلى الأسماء الذاتية كالفرد والأحد الحاصلين من التجلِّي الأول، أقـرب علـيهم أزكى سلام. وانظر: كشف الأسرار (ص١٧١) بتحقيقنا (أحمد مزيدي).

أن يكون نهايتها إلى المحل الذي منه ظهرت، ثم يكون من القلم نظر إلى الأعمال المفروضة فيمدها بحسب ما يُرى فيها، ويكون من اللوح نظر إلى الأعمال المندوبة يمدها كذلك.

ويكون من العرش نظر إلى المحظورات، وهي مستوى الاسم الرحمن، فلا ينظرها إلا بعين الرحمة، ولهذا ينال أهل المعاصي شفاعة أرحم الراحمين، ويكون من الكرسي نظر إلى الأعمال المكروهة، والكرسي تحت حيطة العرش، فيسرع العفو والتجاوز عن أصحاب المكروه من الأعمال، ولهذا يُؤجر تاركها ولا يؤاخذ فاعلها، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب «الجواهر والدرر» فراجعه، والله تعالى أعلم.

وأمَّا بيان حكمة بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بالتكاليف الإلهية: فاعلم يا أخي أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد جاءوا لبيان طريق السعادة والشقاوة، فهم رحمة على قومٍ، وعذابٌ على آخرين، سُنَّة الله التي قد خلت في عباده.

قال تعالى:﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴾ (الأحزاب:٦٢).

ثم اعلم يا أخي أن جميع الحدود التي حدَّها الربُّ تبارك وتعالى في هذه الدَّار لا تخرج عن قسمين:

قسمٌ يُسمَّى: سياسة حُكْمية، وقسمٌ يُسمَّى شرعيَّة، وكلاهما جاءا لمصلحة العباد وبقاء إيمان الممكنات في هذه الدَّار، ودفع الفساد في العالم.

فأمَّا القسم الأول: فطريقة الإلقاء بمثابة الإلهام عندنا، وذلك لعدم وجود شريعة بين أظهر أهل ذلك الزَّمان، فكان الحق تعالى يُلقي في فِطَرِ نفوس الأكابر من الناس الحكمة فيحدُّوا الحدود، ويضعوا النواميس في كل مدينةٍ وجهةٍ وإقليمٍ بحسب مِزاج ما تقتضيه تلك الناحية وطبائعهم، فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم، وسمُّوها نواميس ومعناها: أسباب خير؛

لأن الناموس في العُرف الاصطلاحي هو الذي يأتي بالخير، والجاسوس هو الذي يأتي بالشر.

فهذه هي النواميس الحكْميَّة التي وضعها العقل عن إلهامٍ من الله تعالى من حيث لا يشعرون لصالح العالم ونظمه وارتباطه، ولم يكن لواضعي هذه النواميس [علمٌ](1) بأنَّ هذه الأمور مقرَّبةٌ إلى الله تعالى، ولا أن ثَمَّ جنة، ولا نار، ولا بعث، ولا نشور، ولا حشر، ولا شيء من الآخرة؛ لأن ذلك ممكن وعدمه ممكن ولا دليل لهم في ترجيح أحد الممكنين؛ بل رهبانية ابتدعوها.

فلهذا كان مبنى نواميسهم ومصالحهم على إبقاء الصلاح في هذه الدار، ثم إنهم انفردوا في نفوسهم بالعلوم الإلهية من توحيد الله تعالى، وما ينبغي لجلاله من التعظيم والتقديس وصفات التنـزيه وعدم المثل والتشبيه، وحرَّضوا الناس على النظر الصحيح فكان جلُّ اشتغالهم في ذلك، ثم إنهم بحثوا عن حقائق نفوسهم حين رأوا أن الصورة الجسديَّة إذا ماتت ما نَقص من أعضائها شيء، فعلموا أن المدرك والمحرِّك لهذا الجسد إنما هو أمرٌ آخر زائد عليه، فبحثوا عن ذلك الأمر الزائد؛ فعرفوا نفوسهم وما حدَّه لهم عقلهم لا غير، وأورث ذلك عندهم ترددًا بين التنـزيه والتشبيه وحيرة بين سلب معرفة الله تعالى وبين إثباتها في حق العالِم، فلمَّا أورثهم ذلك ما ذُكر، أقام الحق تعالى لهذا الجنس الإنساني شخصًا، ذُكِرَ أنه جاء إليهم من عند الله ﷻ برسالة يخبرهم بها، فنظروا بالقوة والفكرة التي أعطاها الله تعالى لهم، فرأوا أن الأمر جائز ممكن فلم يقدروا على تكذيبه، ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من عند الله حتى نعلم أنك صادق في رسالتك؟ فإنه لا فرق بيننا وبينك، وما رأينا أمرًا تميزت به عنَّا، وباب الدعوى مفتوح، ومن الدعوى ما يصدُق، ومنها ما لا يصدُق، فجاء بالمعجزة فنظروا فيها، فمنهم من نظر

(١) ساقط من الأصول.

فيها نظر تعنُّت، ومنهم مَن نظر فيها نظر إنصاف وهو ما بين أمرين:

الأول: ألا تكون مقدورة لهم، فادَّعى الصرف عنها مطلقًا، فلا تظهر إلا على يد من هو رسول إلى يوم القيامة.

والأمر الثاني: أن تكون المعجزة خارجة عن مقدور البشر بالحسِّ والهيئة معًا، فإذا أتى بأحد هذين الأمرين، وتحقَّقهُ الناظر المنصف آمن برسالته وصدَّقه بلا شكٍّ.

وأمَّا غير المنصف من أصحاب العقول والمعرفة، فلم يؤمن به ولم يستجب له، وذلك لحكم القبضتين[1].

وكان شيخُنا ﷺ يقول: نحن لا نشترط المعجزة في حق الرسول لأنها ما خرجت عن كونها ممكنة، والقدرة لا تتعلق إلا بإيجاد الممكنات، وإذا أتى الرسول بالممكن فإنما تكون المعجزة في ذلك عدم الإتيان ممن أرسل إليهم بمثل ذلك الذي تحدَّى به الرسول مع كون ذلك ممكناً[2] في نفس الأمر وقوعه، ثم إذا نظرنا إلى الذين انساقوا بالمعجزة إلى الإيمان فرأينا إنما كان ذلك لاسْتقرار الإيمان عندهم، فتوقفت

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند (٢١٠٦٢) عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلى هذه الآية: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الواقعة: ٢٧)، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾، فقبض بيديه قبضتين فقال هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي. وإلى ما رواه في المسند (١٧٠٠٠) كذلك عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي. قال فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر، وفيه (١٦٩٣٣) عن أبي نضرة قال مرض رجل من أصحاب الرسول ﷺ فدخل عليه أصحابه يعودونه فبكى، فقيل له ما يبكيك يا أبا عبد الله ألم يقل لك رسول الله ﷺ خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني قال بلي ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل قبض قبضة بيمينه وقال هذه لهذه ولا أبالي وقبض قبضة أخرى بيده الأخرى جل وعلا فقال هذه لهذه ولا أبالي فلا أدري في أي القبضتين أنا. (محمد نصار)

(٢) بالأصول ممكن.

استجابتهم على المعجزة؛ لضعف يقينهم، وغيرهم ما احتاج إلى ظهور ذلك، بل آمن من أول وهلةٍ بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الإيمان، فاستجاب بأيسر سبب. وأمَّا مَن ليس له نصيب في الإيمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها.

قال ﷺ:وجاءت معجزة كل نبي بحسب الأمر الذي كان غالبًا على قومه، فأتى موسى بما يبطل السحر؛ لغلبته على قومه، وأتى عيسى عليه السلام بما يُبرئ الأكمه والأبرص لغلبة علم الطب على قومه، وأمَّا نبينا محمد ﷺ بالقرآن المعجز بفصاحته لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة، والله تعالى أعلم.

وأمَّا القسم الثاني المُسمَّى بالشريعة فهو: ما جاء على لسان الصادق المصدوق المؤيَّد بالمعجزات الباهرة للعقول من الأخبار الإلهية التي لا تستقل العقول بإدراكها، فإنه لولا إعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك ما استقلَّت العقول بإدراكه، كأحوال الموت والبعث والجنة والنار وغيرها، فلولا إرسال الرسل ما عرفنا شيئًا من ذلك، ولا عرفنا ميزان الأعمال الصادرة على يدينا أنها تُرضي الله تعالى أو تسخطه، ولا تميز أهل القبضتين، فكان معظم ما أرسلوا إليه تعظيم الله عز وجل وإقامة الحجة له تعالى على عباده، وليس للرسل أمر في سعادة أحد، كما أنه ليس لإبليس أمر في شقاوة أحد، فإن أهل القبضتين مميزون(1) عند الحق قبل بعثة الرسل، لا يزيدون ولا ينقصون، وإذا أَمرَتْ الرسل الخلق بعمل شيء، فلسان حال من لم يعمل يقول: هل تعمل ما تسمّ لنا أم لا؟ فلا يسع كل رسول إلا السكوت عنه.

واعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم متساوون في الأجر سواء آمن بهم من أُرسلوا إليهم أو لم يُؤمنوا، فإن كل نبيٍ يَودُّ أن لو آمن به جميع أمته، فتساوى الكل في أجر التمني، وتميز كل واحدٍ عن صاحبه بكثرة الأمم وقلَّتهم لا غير.

واعلم يا أخي وفَّقك الله تعالى أن وقوع العذاب على المكلَّفين في الدنيا

---

(1) مميزين

والآخرة ظاهرٌ.

وأمَّا غير المكلفين قد أُشكل على العلماء وقوع الآلام عليهم في الدنيا؛ لعدم تكليفهم كما عليه جمهور العلماء.

وذهب بعض أهل الكشف إلى أن جميع الحيوانات لهم تكليف فيما بينهم، وأطال في أدلة ذلك، ثم إنه قال لجميع الحيوانات لهم تكليفٌ إلهي برسولٍ منهم في ذواتهم لا يشعر به إلا مَن كَشف الله تعالى عن بصيرته من الأولياء، فإن للحق تعالى الحجة على جميع خلقه، فلا يُعذِّب أحدًا قط ابتداءً[1]، وإنما يُعذِّب جزاءً، فإن الرحمة لا تقتضي في العذاب إلا الجزاء للتطهير، ولولا التطهير ما وقع العذاب وهذا من علوم الأسرار.

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ (يونس:٤٧).

وقال تعالى:﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:٢٤)، وما من شيء في الوجود إلا وهو أمةٌ من الأمم.

وقال تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام:٣٨).

وفي الحديث: «إن الكلاب أمةٌ من الأمم»[2].

وكَذلك ورد: «النمل» وغيره [3]، فعمَّت الرسالة الإلهية جميع الأمم كبيرهم

---

(١) سقط من (أ).

(٢) رواه أبو داود (٣/ ١٠٨)، والنسائي (٣/ ١٤٨)، والترمذي (٤/ ٧٨)، والدارمي (٢/ ١٢٥).

(٣) روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٥٩) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: أن نملة قرصت نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح.

وصغيرهم، وقامت الحجة عليهم فلا إشكال في ذلك؛ لأنه ما من أمة في الأرض إلا وهي تحت خطاب إلهي على لسان نذير بُعث إليها، حتى الدودة في حركتها هي في الرسالة إلى غيرها انتهى.

قلت: الذي عليه جمهور الأئمة، منع التكليف للحيوانات وعدم إرسال رسول منها إليها؛ بل صرَّح بعض المالكية بكفر من اعتقد ذلك، والله تعالى أعلم.

ثم إن هذا كله في تكليف الجسد المركَّب، وتكليف باقي في حق الأعراف إلى أن يخرُّوا ساجدين ثم يدخلون الجنة، فلولا أن تلك السجدة من أحكام الدنيا ما نفعتهم، وأمَّا تكليف الروح فهو من يوم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف:١٧٢).

فإنه لولا تكليفها وعقلها ذلك اليوم ما خُوطبت ولا أجابت، والله تعالى أعلم.

وأمَّا بيان علوم الكاشفة لجهل كل من ادَّعى العلم، وتكبَّر به على الجاهلين وعامة المسلمين فاعلم يا أخي رحمك الله تعالى أن الله ﷻ ما خلع على عبد العلم إلا ليخفض جناحه لعامة الخلق أجمعين، ويكون لهم كالأب الشفيق، فمن تكبَّر على الجاهلين بعلمه وآنف من تعليمهم ومجالستهم؛ فقد قَلب الموضوع.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام حيث ضاق صدره من تعليم العامة: يا داود، المستقيم لا يحتاج إليك، والمعوج قد أنساك نفسك من تعليمه، فلماذا أرسلت؟! مع أنه لا يُسمَّى عالمًا إلا مَن كان علمه غير مُستفاد من نقلٍ ولا وحيٍ، وليس ذلك إلا الله ﷻ، فالعالم من الخلق إنما هو يحكي ما بلغه عن الله، أو عن رسول الله ﷺ، أو عن الأئمة من أصحابه والتابعين، والأئمة المجتهدين، فهو دائمًا حامل لعلم غيره في سائر المراتب والأدوار، ومَن أراد أن يعلم رتبته في العلم وما يستحق على ذلك من الجزاء في الدنيا والآخرة فليردَّ كل قولٍ عَلمَهُ إلى قائله، وينظر فيما بقي معه من العلم بعد هذا الردّ فهو أعلم، وأظنه لا يبقى معه من العلم إلا قليلاً.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:٨٥) خطابًا عامًا.

قال سيدي أبو مدين شيخ المغرب ﷺ: فالكثير من العلم لم نُعْطَهُ، والقليل الذي أوتيناه ليس لنا، فنحن الجاهلون على الدَّوام انتهى.

فلا يخرج أحدٌ عن الجهل ما دام يجهل حكمًا من الأحكام المتعلِّقة بمعرفة الله تعالى أو بشرائعه، وهذا دأبه على الدوام؛ لأنه لو خرج عن الجهل لخرج لرتبة الإطلاق الخاصة بالله تعالى وذلك محال، فلا بُدَّ من جهل العبد ولو ارتفعت رتبته إلى الغاية بأمرٍ ما.

ومن هنا خُوطبت الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بترك الجهل في نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (الأنعام:٣٥)؛ ليرتقي في رتبة العلوم[1].

---

(١) قلت: والعلوم ثلاثة: فالأول: علم الشريعة للخاص والعام.

والثاني: علم الحقيقة لخواص الأولياء والصالحين.

والثالث: علم الغيب للأنبياء والمرسلين، ومن كان على قدمهم، وهم متفاوتون في هذه العلوم بحسب أذواقهم ومشاربهم، وقابليتهم واستعدادهم، وربما اختص بعضهم بشيء منها دون الآخر، كما اختص رسول الله ﷺ بأشياء منها لا تليق إلا به، وبكونه الممد بها كلها. لأنه الواسطة في كل شيء، وعلى يده الهبة من الله تعالى لكل شيء، ولا يخرج عنه شيء ﷺ.

وبعبارة أخرى: العلوم ثلاثة: علم ضروري، أو نقول: بديهي، وهو: ما يُدركه العقل بالبداهة، أعني بمجرد الالتفات إليه من غير احتياج إلى ناقل، ولا إعمال فكر ولا إلى استدلال.

وعلم نظري، أو نقول: كسبي، وهو: ما يحتاج العقل في إدراكه إلى تعلم واكتساب أو نظر واستدلال.

وعلم وهبي أو نقول لدني وهو ما يهجم على القلب ويفيض على الصدر، لا بالدراسة والتعلم، ولا بالنظر في الكتب والتفهم، بل بالاستقامة على قدم المصطفى والتخلق بأخلاقه الكريمة وحسن الاقتفاء، والزهد في الدنيا والتبرؤ من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله، عرف سببه الذي ألقي منه أم لا.

ويقال أيضاً: العلوم ثلاثة: علم جهر وعلانية: أو نقول شهادة، وهو كل ما ظهر للحس، أو أمكن عادة إدراك الحس له ولو في وقت ما، ويدخل فيه كل ما أبرزه الحق تعالى من المخلوقات، وأظهره من العوالم وسائر المصنوعات.

وعلم سر، أو نقول: غيب، وهو كل ما غاب عن الحس ولم يمكن بحسب العادة إدراك الحس له، وإنما يدرك بالعقل إما بالدليل القاطع أو بالخبر الصادق، وهو إدراك الإيمان، ويدخل فيه كل ما لم يوجده تعالى من الممكنات أو كان بينه وبين خلقه من الأسرار المبهمات.

وعلم ما هو أخفي من السر: وهو ما لا يعلمه إلا الله تعالى ولا يمكن أن يعلمه غيره، كعلمه تعالى بنفسه.

وإلي هذه الثلاثة على أحد التأويلات الإشارة بقوله تعالى:﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه: ٧).

وقيل أيضاً: العلوم ثلاثة: علم يتعلق بكل ما سوى الحق تعالى ويسمى بعلم الحوادث والأكوان.

وعلم يتعلق به تعالى من حيث تجليه في حقائق العالم، أو نقول من حيث ارتباط العالم به، وارتباطه تعالى بالعالم ارتباط الإله بمألوه والمألوه بالإله، ويسمى عند أهل الله تعالى بعلم التجلي الظاهر في أعيان الممكنات.

وعلم يتعلق به من حيث باطنه وهويته، أو نقول من حيث هو هو: مع قطع النظر عن تعلق العالم به وتعلقه بالعالم، ويسمى عندهم بعلم الهوية الباطنة، يعنون بها ذات الحق سبحانه.

وذكر الشيخ ابن العربي الحاتمي وسيدنا الشعراني وغيرهما أن العلوم على ثلاث مراتب، أو نقول منازل:

علم العقل: وهو كل علم يحصل لك ضرورة، أو عقب نظر في دليل، وعلامته أنه كلما بسطت عبارته حسن وعذب.

وعلم الأحوال: ولا سبيل إليه إلا بالذوق، ولا يقدر عاقل على حده ولا على أن يقيم دليلاً على معرفته البتة، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع، والعشق والوجد والشوق وما شاكل ذلك، ولا يلتذ به إذا جاء عن غير معصوم إلا أصحاب الأذواق السليمة.

وعلم الأسرار: وهو العلم الذي فوق طور العقل، وليس للعقل فيه دخول بفكر، ولذلك يتسارع إلى صاحبه الإنكار لأنه حاصل من طريق الإلهام الصادق، الذي هو نفث في الروع

ثم اعلم أن جميع ما بأيدي جميع العلماء من النقول في جميع العلوم لا يجئ **نقطة** من بحر علوم الأولياء، وجميع ما عَلم الأولياء لا يجئ **نقطة** من بحر علوم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وجميع ما علمه الأنبياء لا يجئ **نقطة** من بحر علم الله ﷻ.

وإلى ذلك أشار سيدنا الخضر عليه السلام بقوله لموسى عليه السلام لما ادَّعى أنه أعلم خلق الله في عصره ووقع له ما وقع: «ما علمي وعلمك وعلم الخلق أجمع في علم الله إلا

وفيض إلهي لا يخطئ، ويختص به النبي والولي وعلامته أنه إذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الأفهام دركه، وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التي لم توت النظر والبحث حقه.

وأكثر علوم الكُمَّلُ من الأنبياء والأولياء من هذا القبيل، راجع «اليواقيت» وكذا «الفتوحات المكية» في أول مقدمتها.

وقال بعضهم: العلوم ثلاثة:

علم القول: وصاحبه يستند في قوله إلى غيره حاكياً عنه.

وعلم الفهم: وصاحبه يستند في تصوره إلى ذهنه حاكياً عنه.

وعلم الشهود: وصاحبه يستند في شهوده إلى حقيقة ما شاهده حاكياً عنه.

فَمُعَلِمُ الأول آخر مثله، والثاني فكره وذهنه، والثالث ربه كما قال بعض العارفين، وهو أبو يزيد البسطامي قدس سره يخاطب علماء زمانه: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت حين جهلتم أنه عن ربكم، وأخذنا نحن علمنا عن الحي الذي لا يموت بلا واسطة، بل قلبنا يحدثنا عن ربنا، وشتان بين من ينطق عن غيره أو عن فكره وبين من ينطق عن ربه.

وقد انقسم الإيمان إلى هذه الأقسام الثلاثة:

فبالقول: إيمان المقلدين مع طمأنينة قلوبهم إليه من غير فهم أي: استدلال، وقد اعتبره الشارع وسماه إيمانا.

وبالفهم: إيمان المستدلين، وقد دعا الله تعالى إليه في كتابه في غير ما آية كقوله: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات:٢١)، وقوله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران:١٩٠)، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية:١٧).

وبالشهود: إيمان العارفين، وهو أعلى مراتب الإيمان انتهى. (أحمد مزيدي)

كما نَقر هذا العصفور في هذا البحر»[1].

إشارةً منه إلى القِلة؛ لأن عِلمَ الله تعالى لا يدخله نَقصٌ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وكان شيخنا ﷺ يقول: المراد بالعلم ما أُضيف إلى الله تعالى من المعلومات لا العلم؛ لأن العلم لو تعدد لأدَّى أن يدخل في الموجود ما لا يتناهى وهو محالٌ؛ إذ المعلومات لا نهاية لها ولو كان لكل معلومٍ علم لكان يلزم ما قلناه، ومعلومٌ أن الله تعالى يعلم ما لا يتناهى، فعلمه واحدٌ فلا بُدَّ أن يكون للعلم عين واحدة؛ لأنه لا يتعلَّق بالمعلوم حتى يكون موجودًا، ومعلومٌ أن علم الله تعالى متعلِّق بما لا يتناهى، فبطل أن يكون لكل معلومٍ علم.

وكذلك إذا جعلنا العلم نسبة خاصة فهي لا تتناهى أيضًا، إذا علمت ذلك فقل ما شئت من نسبة الكثرة للعلم أو بالقلة، فما وصف الله بالقلة إلا العلم الذي أعطى الله تعالى عباده، وهو قوله: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:٨٥) فجعله هبة.

وقال في عبده الخضر عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف:٦٥).

وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (الرحمن:١، ٢).

وهذا كله يدل على أنه نسبة؛ لأن الواحد في ذاته لا يتَّصف بالقلة ولا بالكثرة، ومن هنا قرَّرنا غير ما مرة أن الواحد في ذاته ليس بعدد وإن كان العدد منه مُنشؤه[2].

فعلم أن المراد بالعلم الذي أتاه الحق لنا، علم الوهب، ولو كان المراد به العلم المكتسب لم يقل: أوتيتم، بل كان يقول: أُوتيتم الطريق إلى تحصيله لا هو. وكَان

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٥٦).

(٢) في (أ): منشأ.

يقول في الخضر: وعلمناه طريق اكتساب العلوم.

ولم يقل تعالى شيئًا من هذا ونحن نعلم أن ثَمَّ علمًا اكتسبناه من أفكارنا ومن حواسنا[1]، وثَمَّ علمًا لم نكتسبه بشيء من عندنا، بل هبة من الله تعالى أنزله في قلوبنا وعلى أسرارنا فوجدناه من غير سببٍ ظاهرٍ.

وهذه مسألة دقيقة، فإن أكثر الناس يتخيَّلون أن العلوم الحاصلة عن التقوى علوم وهب وليس كذلك؛ وإنما هي علوم مكتسبة بالتقوى، فإن التقوى جعلها الله تعالى طريقًا إلى حصول هذا العلم.

فقال تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ (الأنفال:٢٩)، كما جعل الله الفكر الصحيح سببًا لحصول العلم؛ لكن بترتيب المقدمات، وكما جعل البصر سببًا لحصول العلم بالمبصرات، والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب؛ بل من لدنه تعالى.

فاعلم ذلك حتى لا تختلط عليك حقائق الأسماء الإلهية، فإن الوهَّاب هو الذي يكون إعطاؤه على هذا الحدّ بخلاف الاسم الإلهي الكريم أو الجوَّاد، فمَن لا يعرف حقائق الأمور لا يعرف حقائق الأسماء، ومَن لا يعرف حقائق الأسماء، لا يعرف تنـزيل الثناء على الوجه اللائق به.

فتنبَّه يا أخي ولا تكن من الجاهلين، فقد علمت أن الوهبيَّة كلّها لدنيَّة غير مكتسبة بحكم الإرث لرسول الله ﷺ.

وأمَّا غير الوهبيَّة فهي مكتسبة كالذي يعمل بما علم، فورَّثه الله ما لم يكن يعلم، وهكذا كل ما للإنسان فيه تعمُّل وطلب بالخلوة والرياضة ونحوهما كسبي لا وهبي، ثم لا يخفى أن الله - تبارك وتعالى- ما أعطى أحدًا من العلم إلا بقدر ما يقبله استعداده كثرة أو قلة، وما لم يطق الخلق حمله لم يعطهم الله تعالى.

---

(١) في (أ): حدسنا.

وقد اختلف أصحابنا في العلم المحدث كعلوم النظر التي تستقل العقول بإدراكها هل تتعلق بما لا يتناهى من المعلومات أم لا؟ فمن منع أن تعرف ذات الله تعالى منع من ذلك، ومَن لم يمنع من ذلك لم يمنع حصوله، ولكن ما نُقل إلينا أنه حصل لأحد في الدنيا، وما ندري في الآخرة ما يكون.

فإنَّا قد علمنا أن محمدًا ﷺ قد علم علم الأولين والآخرين، وهو ﷺ الصادق المصدوق، فحصل من هذا أن أحدًا لم يتعلق علمه بما لا يتناهى، ولهذا لم تتكلم الناس إلا في إمكانه، هل يمكن أم لا؟ وما كل ممكن واقع، هذا ما اطَّلعنا عليه.

ثم اعلم أن كل شريعةٍ وهبٌ وليس كل وهبٍ شريعةً، ومن هنا وقع الإنكار من موسى عليه السلام على الخضر عليه السلام؛ لأن علم الخضر كان من علوم الأذواق الخاصة بالوجه الخاص الذي بين كل إنسانٍ وبين ربه عز وجل حين يقرب الحق تعالى من عبده ويخاطبه بلا واسطة، ويقول: يا ربِّ اغفر لي، يا ربِّ اهدني، يا ربِّ يسِّر لي أمري ونحو ذلك، ويجيبه الحق تعالى فلا يمكن مع هذه المقربة شهود واسطة من نبيٍ أو مَلك، ولا شهود السبعين ألف حجاب التي بين العبد وبين الله عز وجل؛ بل تذهب الواسطة وتضمحل الحُجب ما عدا حجاب العظمة، فلو كان هذا العبد يطيق سماع كلام الحق تعالى لسمعه كما سمعه موسى عليه السلام، فعلم أن موسى عليه السلام لو كلَّم الخضر عليه السلام من علوم وجهه الخاص الذي بينه وبين ربِّه عز وجل لما ساغ للخضر الإنكار عليه لذلك؛ لأنه لا ذوق لأحدٍ فيما يتكلَّم به آخر من علوم الوجه الخاص، ولا تقبلها العقول بالعلم فقط دون الذَّوق[1].

---

(١) قال الشيخ الأكبر قدس الله سره: رُبَّ ذائق في ذوقه يا إخوان أعلم بالله من عالم بالسنة والأركان.

قال الشيخ الباني: والمقصود من هذه المعاني المذكورة والحقائق المسطورة ليس أن يعلمها العبد، بل المراد أن يذوقها وتصير هي حالاً فيه، فإن طريق العلم السماع وطريق الذوق المشاهدة

ثم اعلم أن الإنكار لم يزل في كل عصر من علماء الشريعة على أهل العلم اللَّدني؛ لأنه علمٌ يُعرب عن وطنه، وأتى لصاحبه من غير طريق الفكر والنظر كما هي علوم الشريعة، وكثيرًا ما يرمون صاحب العلم اللَّدني بالزَّندقة والكفر.

وكثيرًا ما [يرمون صاحب العلم اللدني بالزندقة والكفر][1]، يقولون حسداً إذا أعجبهم علمه الغريب في تفسير آيةٍ أو حديثٍ: هذا أخذه من كتب المتقدمين، ولعمري إن الذي علَّم صاحب الكتب المتقدمة من لدنه علمًا لا يبعد إن يعلم هذا الرجل الآخر كذلك، ولكن للأولياء في ذلك الأسوة برسول الله ﷺ؛ حيث قال المكذِّبون إنه ﷺ إنما يعلِّمه بشر، وكانوا يشيرون إلى حبر اليهودي غلام لبعض الناس، فاستبعدوا على رسول الله ﷺ ما أعطاه الله من العلم حسدًا، ولم يروا ذلك

والعيان، والثاني أكمل من الأول بداهة، و (الذوق) ابتداء الشرب والشرب سقي القلب والعروق من الشراب حتى يَسْكروا، والشراب مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والصفات بالصفات، والأفعال بالأفعال والسنة معلومة، و(الأركان) المراد بها أركانها فيكون من عطف الخاص على العام لمزيد فضل الخاص على العام (رُبَّ) وإن كانت في الأصل للتقليل لكنها استعملت في التكثير بحيث صار التكثير حقيقيًا فيها والتقليل مجازيًا، فيطلق على الأول بلا قرينة والثاني بالقرينة، فالمراد هنا التكثير والمعنى كثير من الذائقين في ذوقهم أيها الأخوان مع عدم علمه بالسنة والأركان أعلم بالله تعالى من حيث ذوقه من رجل عالم بالسنة والأركان، ولا يعلم الله تعالى بالوجودان فالذائق العالم أفضل من العالم الغير الذائق ومن الذائق الغير العالم لعلمه، والذائق الغير العالم أفضل من العالم الغير الذائق لذوقه ولا يسمَّى العالم عالمًا عندهم إلا إذا كان ذائقًا؛ لأنه العلم حقيقة وما سواه وسوسة وتلبيس، و (الذائق) هو الذي يعلم الأشياء على ما هي عليه من إنها قائمة بالوجود المطلق ما لها وجود من نفسها، وغاية العلم الذوقي أن يعلم العبد بأن العالم صورة الحق فإنه به يعقل، بل العبد نفسه صورة من صور الحق ومعارفه كذلك. وانظر: شرح الحكم الأكبرية (ص٣٩٥) بتحقيقنا. (أحمد مزيدي)

(١) سقط من (أ).

بعيدًا في بعض خدَّام اليهود!!

فانظر كيف يؤدي الحسد والإنكار من الخسارة في الدنيا والآخرة.

[أنواع علوم الخَواص]

ثم اعلم أن جميع ما يُعطيه الله ﷻ لخواص عباده من العلوم اللدنيَّة كله من الإمام المبين الذي أحصى الله تعالى فيه كل شيء.

وعدة أنواع أمهات علومه الشريفة كما أخبرني به شيخنا ﷺ مائة ألف نوعٍ وتسعة وعشرين ألف نوع، وستمائة نوع تحت كل نوعٍ من فروع تلك العلوم ما تكلُّ عنه الألسنة.

وأمَّا علوم اللَّوح المحفوظ فهي على عدد أسنان القلم الكاتب، وعدة الأسنان ثلاثمائة وستون سنًّا كل سنٍّ يفترق عن ثلاثمائة وستين صنفًا من العلوم الإجمالية، فإذا ضربت ثلاثمائة وستين في مثلها فالخارج هو مقدار ما كُتب في اللوح المحفوظ من العلوم[1]، ليس في اللوح[2] زيادة على ذلك علمًا واحدًا، فاعلم ذلك وصدِّق به؛ يعطيك الله تعالى من علومه، ولا تنكر تُحرم العطاء.

قال تعالى في الحديث القدسي: **«أنا عند ظن عبدي بي»**[3] فافهم.

وقد كنت أَلَّفت كتابًا سمَّيته **«تنبيه الأغبياء على نظرة من بحر علوم الأولياء»** ذكرت فيه من علومهم نحو إحدى وسبعين ألف علم، كل علمٍ منها لا يُدرك له

---

(١) في هامش (ب) فالخارج هو: ١٢٩٦٠٠

(٢) قال الشيخ القاشاني: اللوح هو محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم. فإنه لوح القدر، ومحل تفصيل حكم القضاء، ومن أحكام التفصيل التوقيت، فاللوح جامع لما سطره القلم من المعلومات المفصلة المؤجلة.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢٦٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١)، والترمذي (٥/ ٥٨١).

قرار، ولا يمكن لأحد من غير الأولياء ولو ارتفعت درجته [أن يصل][1] إلى معرفة علم منها بفكرٍ أو بمطالعة كتب، بل ولا يعرف أسماءها فضلاً عن الخوض فيها، ثم رأيت غالب عقول العلماء تحيّر فيه فضلاً عن غيرهم، فاستخرت الله تعالى، ورميت به في بحر النّيل، وقد ذكرت في كتابنا المُسمَّى بـ «**الدُّر النظيم في علوم القرآن العظيم**» نحو ثلاثة آلاف علم منه.

وهو كتابٌ نفيسٌ لم يُنسج على منواله فيما أظن، وكان الباعث لنا على تأليفه حفظ حرمة أهل الله تعالى حين سمعت من لا خُلطة له بهم، يُنكر عليهم وينسبهم إلى العامية والجهل.

وقد كان الجنيد ﷺ يقول: ما نزل من السماء إلى الأرض علمٌ، وجعل الحق تعالى للخلق إليه سبيلاً، إلا وجعل لي منه حظًّا ونصيبًا[2].

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: جملة المنازل التي ينـزل لها الأولياء يخلع عليهم علومها ما يتآلف منـزل وثمانية وأربعون ألف منـزل، ما عدا منـزل الخضر عليه السلام فإنه منـزل دُوين النبوة، وفُويق الولاية كما أخبرني [الخضر][3] عن نفسه عليه السلام.

وأخبرني شيخنا أن سيدي إبراهيم المتبولي[4] ﷺ خرَّج من سورة الفاتحة من العلوم مائتا ألف علم، وسبعة وأربعين ألف علم، وتسعمائة وتسعة وتسعين علمًا.

---

(١) بالأصول كلمة غير واضحة، وفي (ب) بالهامش كتب بجوارها: لعله: «لا يطيق» وما أثبتناه أقرب للصواب ومطابق لمقصد المؤلف إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: طبقات السبكي (٢/ ٢٦١)، وتاريخ الخطيب (٧/ ٢٤٢)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٦٧)، والكواكب الدرية للشيخ المناوي (١/ ٥٧٤)، وكتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص١٦١).

(٣) ليس في (ب).

(٤) كان ﷺ من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا النبي ﷺ، وانظر: أخباره ومناقبه العظيمة في الطبقات الكبرى (٢/ ٧٧)، والأخلاق المتبولية للمصنف.

ثم اعلم أني إنما صدَّرت هذه الآداب بجملة صالحة من علوم القوم- رضي الله عنهم- أجمعين، إلا توطئة لبيان هذه الرسالة، وإعلامًا بأن من لم يحط علمًا بأحوال الأولياء، فهو بأحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشرائعهم أقل إحاطة، وشفقة على بعض إخواننا من الفقهاء أن يظن بأحد ممن انتسب إلى الله تعالى، ولو بالدعوى أن يجهل شيئًا من أحكام دين الله ﷻ، وكيف يجهل أهل الله تعالى شيئًا من أحكامه وهم جلساء الحق ليلاً ونهارًا؟! كما قال تعالى: «**أنا جليس مَن ذكرني**»[1]، فمن كان الحق جليسه لا تُحصى مواهبه.

وقيل للجنيد ﷺ: ممن استفدت هذه العلوم التي تنطق بها، ولا تجدها عند أحد من مشايخك؟

فقال: من جلوسي بين يدي الله تعالى تحت تلك الدرجة[2] - وأومأ إلى درجة في داره - ثلاثين سنة.

فمَن أراد الله تعالى به خيرًا عمي سمعه وبصره ولسانه وقلبه عن الإنكار، وجعل كل كلام سمعه عن الأولياء ولم يفهمه من جملة تلك العلوم التي لم يحط بها علماً؛ ليكون ذلك دهليزاً يدخل منه إلى فهم كلام رسول الله ﷺ من غير استشكال؛ لأن الأولياء بوابو[3] حضرة الحق تعالى، ولا يدخل أحدٌ إلى حضرته إلا من طريقهم، ولم أتعرض فيما أذكره هنا من علومهم - رضي الله عنهم - إلى شرح شيئًا منها لجهلي بمرادهم بها، فإن شرحي لها إنما هو مُرادي لا مرادهم.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥١)، وابن أبي شيبة (١/ ١٠٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٢).

(٢) انظر: قوت القلوب (١/ ٣٣٠)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٦٢).

(٣) بالأصول: بوابون.

وقيل لسيدي أبي السعود بن أبي العشائر ﷺ[1] مرة: لِمَ لا تضع للمريدين كتابًا في كل مُراد القوم؟

فقال: المريد كتابه قلبه، وأيضًا صيانةً لها وغيرةً على طريق أهل الله تعالى، فإن علوم القوم لا تُفسَّر إلا مشافهةً لمن يذوقها أو يؤمن بها، والكتاب يقع في يد أهله وفي غير أهله.

وكان الجنيد ﷺ يقول: الإيمان بكلامنا هذا ولاية[2].

وكان ﷺ يقول: ذكر الكلام لأهله سترة[3]، وذكره لغير أهله عورة.

وكان ﷺ يقول: الكرامات آثار المعجزات، وكما يصل الولي إلى إظهار ما يعجز العقول عن قبوله، فلا جَرم أن يُعطى القوة في الفهم إلى حدٍّ يقف دونه العلم.

وكان ﷺ يقول كَثيرًا: إن العارفين على أقدام الأنبياء، وكثيرًا ما تهبُّ عليهم من الحضرة الإلهية نفحات جود إلهي، فيكشف لهم عن أمور تحيلها العقول فيرمي العلماء بها، ولو أنصف العلماء لأوَّلوها وآمنوا بها كما آمنوا بها على ألسنة الرسل.

وكان ﷺ إذا تكلَّم مع أصحابه في شيء من علوم القوم يغلق أبواب داره ويأخذ مفاتيحها ويضعها تحت وركه، وإذا قيل له في ذلك يقول: أتحبون أن يرمي[4]

(١) هو سيدي: أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان المصري، الزاهد شيخ الفقراء السعودية، توفي في تاسع شوال ٦٤٤هـ وكان صاحب عبادة وزهد وأحوال، وكان دفنه بالقرافة. له أتباع ومريدون. تاريخ الإسلام انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٨٤٥).

(٢) انظر: الكواكب للمناوي (١/ ٥٧٨)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٢٦٥)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص٢٢٩).

(٣) بالأصول: سُنَّة، وما أثبتناه أقرب للصواب بقرينة كلمة «عورة».

(٤) في (أ): يرمون، وفي (ب): يرموني ولعل ما أثبتناه هو الأقرب للصواب.

أهل الله تعالى بالزندقة؟

وتكلَّم الشيخ رحمه الله تعالى مرةً في علوم القوم على رؤوس الأشهاد، فزجر وأنكر عليه[1].

ولهذا جعل أئمة الشريعة رضي الله عنهم طريقة الجنيد وصحبه، طريقاً مُقوماً[2] على الكتاب والسنَّة دون غيره من الأولياء كأبي يزيد البسطامي[3] ونحوه ممن غلب

---

(١) قال يوسف بن الملا عبد الجليل الموصلي: وشهدوا على الجنيد رحمه الله تعالى بالكفر مرارًا حين كان يتكلَّم في علم التوحيد على رؤوس الأشهاد، فصار يقرِّره في قعر بيته إلى أن مات، وكان من أشد المنكرين عليه وعلى «رويم» وعلى «سمنون» وعلى «ابن عطاء» ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط عليهم أشد الحط، وإذا سمع أحدًا يذكرهم بخير تغيَّظ، وتغيَّر لونه. وانظر: الانتصار (ص٣٧) بتحقيقنا.

(٢) بالأصول: طريق مقوم.

(٣) ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها مالاً يصح ويكون مقولاً عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (١٠/ ٣٣، ٤٠)، وفيات الأعيان (١/ ٣٠١)، صفة الصفوة (٤/ ٨٩، ٩٤)، المنتظم (٥/ ٢٨)، الرسالة القشيرية (١٧)، طبقات الصوفية للسلمي (٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٨١)، الكواكب الدرية (١/ ٢٤)، البداية والنهاية (١١/ ٣٥)، مرآة الجنان (٢/ ١٧٣)، نفحات الأنس (٥٦)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٨٩)، طبقات

عليه الحال فإن الجنيد ﷺ لم يظهر منه شطح قط، وكان يتلوّن [بتلون][1] كل جليسٍ من فقيرٍ وفقيهٍ وكاملٍ وناقصٍ، فيقوم جليسه وهو عنه راضٍ، وذلك دليل على كماله ﷺ.

فكثرة البحث والجدال وعدم التسليم لكل شيء لا يخرق الإجماع بل تُعمي قلب العبد[2]، وتخرجه من محل القرب إلى محل الطرد.

وكَان الإمام الشافعي ﷺ كثيرًا ما يقول: الإنكار ركْنٌ عظيمٌ من أركان الشرك والنفاق؛ لأن أصل الكفر عدم التصديق، فهو في حق النبي ﷺ كفر، وفي حق التابع له ﷺ نفاق، فللتابع حق كما للمتبوع حق؛ إذ العين الممدة واحدة، فالإنكار بِالظن والوهم كلّه مذموم، وكذلك الجدال لاسيما الجدال في كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، وكلام ورثته من الأولياء والعلماء رضي الله عنهم أجمعين.

ولذلك[3] طال الطريق إلى الله تعالى وإلى معرفة حضراته وحضرات أسمائه وصفاته على أهل المراء[4] والجدال، وفقدوا [المعونة و][5] اكتساب الأخلاق النبويّة

الأولياء (١٠٨)، النجوم الزاهرة (٣/ ٣٥)، جامع كرامات الأولياء (٢/ ٤٠)، نتائج الأفكار القدسية (١/ ١٠٤)، رشحات عين الحياة (١٤)، معجم البلدان (١/ ٦٢٣)، درر الأبكار (ص١٢٠)، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص١٨) بتحقيقنا. (أحمد مزيدي)

(١) ليس في (أ).

(٢) كذا وردت الجملة في الأصول، والمعنى يستقيم إذا حذفت كلمة [بل] ولعلها «بلوى» أو «بلاء» فيستقيم المعني بهما.

(٣) في (أ): كذلك.

(٤) في (أ): الرأي.

(٥) في (أ): المعرفة على.

من الزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وقيام الليل، وترك الكِبر والحسد والرياء والإعجاب، وغير ذلك مما يخلّ بالدين كما هو شاهد.

وفي الحديث الصحيح: «**أشدُّ الناس [عذاباً][1] يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه، ومن طال أمله لم ينفعه الله بعلمه، ومن ترك قيام الليل لم ينفعه الله بعلمه**»[2].

وقِس عليه سائر المأمورات، وترك[3] سائر المنهيات.

وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: ليس الكامل من الرجال مَن يُوصل كل يوم ألفًا من العوام؛ إنما الكامل مَن يُوصل فقيه كثيرَ الجدال في مائة عام.

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر، وقد كان آخر كلام الخضر لموسى - عليهما الصلاة والسلام -: ﴿ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ (الكهف:٧٨).

وكذلك قال الله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤)، فطلب منه أن يسأل الزيادة من العلم لا من الحال؛ لأن زيادة الحال تورِّث كثرة الإنكار على صاحبها، واللائق من الرسل الاتِّصاف بما تتألف به القلوب كالعلم، فإنه يزيد صاحبه إيضاحًا وكشفًا واتساعًا وانشراحًا، وتستميل إليه القلوب، فالواجب على كل مَن أراد تقريبه إلى حضرات القرب من الحق تعالى ورسله وأوليائه؛ ألا يبحث ولا يُجادل في كلامهم؛ بل يقبل على العمل بكل ما أمروه به قبول العبد الصالح لاسيما كلام أرباب الأحوال، فإن حالهم من أغرب الأمور، والإنكار على أحوالهم [سُمٌّ][4] الساعة، على أنه لا خلل في ظاهر الشريعة بأفعالهم، وعدم اتِّباع الخلق في

---

(١) سقط من (أ).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٢/ ٢٨٥)، والطبراني في الكبير (١/ ٣٠٥)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٠).

(٣) في (أ): واترك.

(٤) سقط من (أ).

شيء منهم كما هو مشاهد، والإنكار لا ينبغي إلا على شخص خرق الإجماع بغير معتمد لاسيما أن اتُبعَ على ما خرقه، وذلك لا يقع من ولي الله تعالى قط.

قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٧٨)، والسَّلام إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

من علوم الأولياء الخاصة رضي الله عنهم علمُ الاستناد، فيعلِّم صاحبه وجه استناد كل قول في العالم، ولماذا يرجع من حضرات الأسماء والصفات[1]

ومنها: علم أسرار الروحانيات.

ومنها: علم النور والضياء.

ومنها: علم البرق والشعاع.

ومنها: علم كل ذي جسم مستنير.

ومنها: علم الكمال و النقص في المعدن والنبات.

ومنها: علم السعادة والشقاء.

ومنها: علم خواص الأسماء.

ومنها: علم تدبير الملك وسياسته وترتيب الجيوش والقتال ومكائد الحروب.

ومنها: علم الأوهام والإلهام والوحي والأمر.

ومنها: علم النواميس ومكارم الأخلاق.

ومنها: علم القُربات وقبول الأعمال.

ومنها: علم التصوير من حضرة الجمال والأُنس.

---

(١) أي لأي من حضرات الأسماء والصفات يرجع.

ومنها: علم الأحوال والثبات والتمكين.

ومنها: علم الدوام والبقاء.

ومنها: علم الاصطلاح.

ومنها: علم الوجد والشوق والعشق في اصطلاحهم.

ومنها: علم غامضات المسائل.

ومنها: علم النظر.

ومنها: علم الرياضة.

ومنها: علم الطبيعة.

ومنها: علم تأثير العلم الإلهي بإعلامٍ صحيح.

ومنها: علم الميزان وعلم الأنوار.

ومنها: علم السبحات الوجهيَّة.

ومنها: علم المشاهدة.

ومنها: علم الفناء[1].

ومنها: علم تسخير الأرواح.

ومنها: علم استنـزال الروحانيين العُلا.

ومنها: علم الحركة.

---

(١) الفناء: هو اضمحلال كل متعرضٍ متوهمٍ لا ينتهي إلى غايةٍ محقَّقةٍ، وحقيقته: صدق العـدم الذاتي على كل موجودٍ بالعرض في المجاز، وغايته: صادقٌ من العلم يمحق كل كاذبٍ من الوهم وهو الهلاك الحقيقي انتهى.

ومنها: علم إبليس.

ومنها: علم المجاهدة.

ومنها: علم الحشر والنشر.

ومنها: علم موازين الأعمال.

ومنها: علم جهنم وعلم الصراط.

ومنها: علم الأسرار والغيوب.

ومنها: علم الكنوز وعلم خفيَّات الأمور.

ومنها: علم التلوين والرسوخ.

ومنها: علم المقام وعلم القدر.

ومنها: علم السكوت.

ومنها: علم الدنيا وعلم الجنة وعلم الخلود.

ومنها: علم التقلبات.

ومنها: علم البرازخ، وعلم الأرواح البرزخيَّة.

ومنها: علم نطق الطير.

ومنها: علم لسان الرياح.

ومنها: علم التنـزُّل.

ومنها: علم الاسْتحالات.

ومنها: علم الزجر.

ومنها: علم مشاهدة الذات.

ومنها: علم تحريك النفوس.

ومنها: علم الليل.

ومنها: علم المعراج.

ومنها: علم الرسالة.

ومنها: علم الكلام.

ومنها: علم السماع.

ومنها: علم الهوى.

ومنها: علم الحياة.

ومنها: علم الأحوال المتعلِّقة بالعقائد.

ومنها: علم النفْس.

ومنها: علم التجلِّي الأكبر.

ومنها: علم المنصَّات.

ومنها: علم النكاح.

ومنها: علم الرحمة.

ومنها: علم التعاطف والتودد.

ومنها: علم الذَّوق.

ومنها: علم الشراب.

ومنها: علم الرّي[1].

ومنها: علم جواهر القرآن[2].

ومنها: علم درر القرآن.

ومنها: علم النفس الأمَّارة في مكوناتها.

ومنها: علم اختصاص الرحمة وعمُومها، ومَن تحقَّق به دخل في نعيم الأدب.

ومنها: علم تقابل النسختين.

ومنها: علم الأسماء المركَّبة التي لله تعالى.

ومنها: علم عواقب الأمور مما للخلق طريق إلى معرفتها.

ومنها: علم مراتب السيادة في العالم.

ومنها: علم النماء[3].

ومنها: علم الملك والملكوت.

ومنها: علم الجزاء.

ومنها: علم الاستناد[4] والتعاون.

ومنها: علم الطريق إلى السعادة التي لا يشُوبها شقاء.

---

(١) في (ب): اللدني.

(٢) وقد ألف فيه الإمام حجة الإسلام الغزالي كتاباً بعنوان «جواهر القرآن» نشرته مكتبة الجندي بالقاهرة.

(٣) في (ب): علم الثنا بالثنا.

(٤) في (ب): الاسناد.

ومنها: علم أسباب الطرق.

ومنها: علم الحيرة والمتحيرين[1].

---

(١) قال الإمام الشعراني: الحيرة في الله من كمال المعرفة به، وهي ساريةٌ في العالم النُّوريِّ والنَّاريِّ والترابيِّ، لأن العالَمَ ما ظهر إلا على ما هو عليه من العلم الإلهيِّ، وما هو في العلم الإلهيِّ لا يتبدَّل، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠) الآية.

فما فُطِر العالَمَ إلا على الحيرة، وذلك لأن المرتبة الإلهية تنفي بذاتها التقييد عنها، والقوابل تنفي الإطلاق عنها، ولا تشهد إلا صورتها من التقييد.

فهذا هو سبب شدة الحيرة في الوجود، ولا أحد أشدَّ حيرةٍ في الله من العلماء به، ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول: ((زِدْنِي اللَّهُمَّ فِيْكَ تَحَيُّرًا))، ومع ذلك فأعلى ما يصل إليه العلماء بالله تعالى من طريق نظرهم مبتدأ البهائم؛ لأنها كغيرها مفطورةٌ على الحيرة في الله ﷻ، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى من العقل والرؤية وإمعان النظر عن الحيرة التي فُطِر عليها، فلا يصحُّ له ذلك.

وعلى هذا الذي قررناه الإشارة بقوله تعالى في حقِّ قوم: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان:٤٤).

فإن التشبيه بالأنعام إنما هو في الحيرة لا في المحار فيه، فليس ذلك نقصًا في الأنعام، والحيرة عمًى بلا شكٍّ ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٧٢)، أعني جاهلاً بالذات. لاكما هو في الدنيا.

ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن عثمان المكي يقول في صفة العارفين: وكما هم اليوم يكونون غدًا، فَعُلِمَ أن من طلب معرفة الذات من طريق الفكر والنظر كان مآله إلى الحيرة، كما أن من طلب الواحد في عينه لم يحصل إلا على الحيرة، فإنه لا يقدر على الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب، وكيف يقدر على ذلك، وهو يحكم على نفسه بأنه طالبٌ، وعلى نفسه بأنه مطلوبٌ، ومقام الواحد يتعالى أن يحلَّ في شيءٍ، أو يحلَّ فيه شيءٌ؛ لأن الحقائق لا تتغير عن ذاتها؛ إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه، وتغيير الحق في نفسه وتغيير الحقائق محالٌ.

واعلم أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أصحاب النظر في الأدلة؛

لاختلاف الصورة عليهم عند الشهود.

فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان، فلهم أن يحاروا ويعجزوا، وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان، وما بقي لهم شهودٌ إلا فيه، فهو مشهودهم، فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النُظّار في معارضات الدلالات، وفي الحقيقة ما في الوجود إلا الله.

ولا يعرف الله إلا الله، فمن وصل إلى الحيرة من المقربين فقد وصل، والسلام.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: العلماء بالله على أربعة أصنافٍ:

صنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق النظر الفكري، وهم القائلون بالسلوب.

وصنف: ما لهم علمٌ بالله إلا من طريق التجلي، وهم القائلون بالثبوت والحدود التابعة للصورة.

وصنف: يحدث لهم علمٌ بالله بين الشهود والنظر، فلا يبقون مع الصورة في التجلي، ولا يصلون إلى معرفة هذه الذات الظاهرة بهذه الصورة في أعين الناظرين.

وصنف: ليس واحدٌ من هؤلاء الثلاثة، ولا يخرج عن جميعهم، وهو الذي يعلم أن الله تعالى قابلٌ لكل معتقدٍ في العالم، من حيث إنه عين الوجود، وهذا القسم ينقسم إلى صنفين:

صنفٌ يقول: عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات.

وصنفٌ يقول: أحكام الممكنات، وهم الصور الظاهرة في عين الوجود الحق، وكلٌّ قال ما هو الأمر عليه، ومن هنا فشت الحيرة في المتحيِّرين، وهي عين الهدي في كل حائرٍ، فمن وقف مع الحيرة حار، ومن وقف مع كونِ الحيرة هدًى وصل، ومن وصل لا يرجع، لأن من المحال الرجوع بعد كشف الحجاب إلى الحجاب؛ إذ المعلوم لا يجهله العالم بعد تعلق العلم به.

ومرادنا بالوصول الوصول إلى السعادة الدائمة.

وهو معنى قوله: ((فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه وبصرَه)) الحديث.

فَعُلِمَ أن من أعظم غلطات أهل النظر طلبهم الخروج عن الحيرة بالخلوة والرياضة، وذلك لا يكون لهم أبدًا، لأن التجرد عن المواد يُعقل ولا يُشهد، ولا يُسلم لهم عقلٌ من حكمٍ ولا خيالٍ؛ لأن كل ما سوى الله حقيقته الإمكان، والشيء لا يزول عن حكم نفسه، ولا يتعقل إلا ما

ومنها: علم السائلين والمحبِّين.

ومنها: علم تصديق المخبَّرين عن الحق سبحانه وتعالى من بشرٍ ومَلَكٍ وخاطرٍ.

ومنها: علم وجه مستندات جميع عقائد العالم.

ومنها: علم العروش الإلهيَّة، وإنها على عدد العالم بأمره والعرش العظيم محيط بها.

ومنها: علم الكشف الإلهي وتميُّزه عن الكشف الشيطاني.

ومنها: علم الفروق الإلهية وما الفرق بين عصي وآبي.

ومنها: علم الغيوب وأين ينقطع الغيب من العالم.

كان على صورته، تعالى الله عن ذلك.

وكان شيخنا ﷺ يقول:

من الرجال من زالت عنه الحَيرة في الله ﷻ. فقلت له: كيف ذاك؟ فقال: إذا تجلى الله تعالى للقلب في غير عالم المواد زالت الحيرة، وعلم من الله على قدر ذلك التجلي من غير تعينٍ؛ إذ لا يقدر أحدٌ على تعيين ما قد تجلَّى له إلا كونه تجلى في غير مادةٍ لا غير، ثم إذا رجع من هذا التجلي إلى عالم المواد صحبه تخيل تجلي الحق تعالى.

فما من حضرةٍ يدخلها إلا ويعرف الله تعالى في تجليها؛ لأنه قد ضبط من معرفته أولاً ما ضبط، فيَعلَم أن التجلي قد تحوَّل في أمرٍ آخر، فلا يجهله بعد ذلك أبدًا، ولا ينحجب عنه، فإن الحق تعالى ما تجلى لأحدٍ هذا التجلي، فانحجب عنه بعد ذلك أبدًا.

فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدةً بعد أن عرفها قبل ذلك علمًا وإيمانًا رأى الحق تعالى في صورة الخيال مقيَّدًا فلم ينكره، لكن لا يسعه إلا السكوت، لأنه حينئذٍ يرى أن لا معلوم إلا الله، وإذا كان لا معلوم إلا الله فلا يدري أحدٌ ما يقول! ولا كيف ينسب الأمور! وانظر: الميزان الذرية (ص٧٣) بتحقيقنا – طبع دارة الكرز – لأول مرة. (أ. مزيدي)

ومنها: علم مفاتيح الغيب وعلم ما هو داخل خزائنها، وهذا خاصٌّ بواحد الزمان.

ومنها: علم أرض الله الواسعة التي لو وضع بها السموات والأرضون والجنات والنيران كان كحلقة في أرض فلاة، وهذه الأرض يدخلها العارفون بأرواحهم لا أجسامهم ويخصها من العلوم عشرين ألف علم يعرفها مَن دخلها بمجرد دخولها.

وقد أودعنا غالبها مفرَّقًا في كُتبنا.

ومنها: علم إيراد الكبير على الصغير، من غير أن يصغر الكبير، أو يكبر الصغير، أو يوسِّع الضيِّق، أو يضيِّق الواسع.

ومنها: علم الأمزجة.

ومنها: علم النور والظلمة.

ومنها: علم الكتمان والستر.

ومنها: علم إبليس في إقامة الحجة،

وقوله: إن عُبَّاد الأوثان ما عبدوها لذاتها، وإنما عبدوها من نسبة الألوهية إليها، فلولا وضع اسم الألوهية عليها ما عبدوها، فما عبدوا إلا اسم الإله.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء:٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف:٨٧).

فما ذكروا إلا الألوهية، وما ذكروا الأشخاص ومع هذا فما قبل منهم العذر؛ بل قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الأنبياء:٩٨).

وقال تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦).

والناس هنا: كل مَن دعا الخلق إلى عبادته أو عَبَدُوه، ومنه في وسعة أن ينهاهم فما نهاهم.

وقال لعنه الله لبعض العارفين إن [الموحد][1] يعبد الله تعالى من طريقين:

من طريق الذات من كونها تستحق وصف الألوهيَّة، ومِن طريق الألوهية، فالسَّعيد الجامع بينهما.

ومنها: علم التناسُل.

ومنها: علم الحضرات التي فيها التشبيه بين الأشياء مع الاشتراك في الصورة.

ومنها: علم أن هذه الأمة المحمَّدية لا بُدَّ أن تفعل جميع ما هلكت به الأمم السالفة، وفيه محاجة لإبليس مع بعض العارفين وهو قوله: ما الفرق بين فقهائكم، وبين من قال:﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف:٢٢).

فقال له العارف: كيف؟ [فقال][2] تسأل أحدهم عن المسألة، وتقول ما مستدلك فيها من شرع ربك، فيقول: هذا لا يلزم المقلِّد، وهذا هو الذي وجدناه في كتب أسلافنا ومشايخنا[3].

---

(١) في (أ): الواحد.

(٢) ساقط من الأصلين، وفي (ب) بلفظ «ومنها».

(٣) هذا الكلام لا يعني رفض التقليد، فالإمام الشعراني ألف مؤلفه المشهور الميزان وقبله الميزان الخضرية ثم كشف الغمة، والمنهج المبين، دفاعاً عن مذاهب الأئمة. كيف؟! والإمام الشعراني نفسه كان شافعياً، بل وتأول قول سيدي أبي الحسن البكري ﷺ إنه وصل إلى الاجتهاد المطلق، فقال إن وصوله بطريق الكشف الخاص بالأولياء لا من طريق العلوم الشرعية الظاهرة كمجتهدي الأمة الكبار. =

ومنها: علم ما ينفرد به الحق تعالى من العلم دون الخلق مما لا يعلمه الخلق إلا بإعلام الله تعالى دون الفطرة.

ومنها: علم نعوت الله تعالى.

ومنها: علم المفاضلة بالدار.

ومنها: علم الميل والاستقامة.

ومنها: علم العوائد، ولماذا يرجع؟ وما ثم تكرار في العالم وهو علمٌ واسعٌ.

ومنها: علم انقياد الخلق إلى الحق، وأنه نتيجة عن انقياد الحق للخلق لطلب الممكن الواجب دون العكس، فانقاد له الواجب فيما طلبه وأوجده، ولم يكُ شيئًا.

ومنها: علم سبب الاختلاف الواقع في العالم مع العلم بما يُوجب رفع الاختلاف الواقع في العالم، مع العلم بما يُوجب دفع الاختلاف.

ومنها: علم منازل أهل القربة وعددهم، وما يتعلَّق بكل منزل منها من الآداب.

ومنها: علم الأمور التي حاز بها العساكر مَن حازها وإلى أين منتهاها.

ومنها: علم مقامات أهل المجالس وكم عددهم إلى انتهاء الدنيا وعلامات كل واحد وبأي شيء استوجبوا ذلك من فضل ربهم.

= وغاية ما يقال في هذا النقل إن الإمام يرى أن المقلد من طلاب العلم يلزمه معرفة دليل إمامه ربطاً لقول إمامه بقول رسول الله ﷺ، أو يقال إنه ؓ تابع في نقله كلام إبليس هذا الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي الذي كان له الاجتهاد المطلق كما لا يخفى على من طالع الفتوحات. ويبقى تأكيد الإمام الشعراني على أن الشريعة هي مجموع كلام الأئمة الذين نقل مذاهبهم في الميزان، وليست كلام إمام واحد منهم، هو قوله النهائي في المسألة كما سيرد تالياً في حواشي الكتاب. (محمد نصار)

ومنها: علم الحديث وما ينبغي أن يتحدث به أهل المجالس وأهل المناجاة وأهل المسامرة.

ومنها: علم الفواتح، ومنه علم الأمور التي هي يفتتحون بها المناجاة والأمور التي يخفون، وبماذا يجابون.

ومنها: علم صفات سير أهل المجالس إليها وآدابهم في المسير إليها.

ومنها: علم النتائج وما الأمور التي تنتج للعارفين مرتبة بدأة الحق تعالى لهم بالحديث.

ومنها: علم صفات خاتم الأولياء في كل قرنٍ وصفة خاتمهم الأكبر. وعلم الصفات التي بها يستحق الختميَّة، كما يستحق محمد ﷺ أن يكون خاتم الأنبياء كلهم في التشريع: أي لا في التلقي كما هو شأن عيسى عليه الصلاة والسلام.

ومنها: علم مراتب الختم ومعانيها.

ومنها: علم آداب مجالس مالك الملك، وبأي شيء يكون أتتها حظوظ أهل المجالس.

ومنها: علم المقامات وأين مقامات الرسل من مقامات الأنبياء، وأين مقامات الأنبياء من مقامات الأولياء.

ومنها: علم الأسماء الذي يمنح الحق تعالى علمها لأصفيائه والتي لا يمنح.

ومنها: علم الحظوظ، ومنه علم حظوظ جميع الأولياء من جميع أسمائه تعالى.

ومنها: علم المبادئ وما بُدُوُّ الأسماء وما بدو الوحي، وما بدو الروح، وما بدو السكينة.

ومنها: علم العدل.

ومنها: علم التفضيل، ومنه: وجود علم التفاضل بين النبيين وتعيين ما فُضِّل به كل نبيٍّ على الآخر.

وكذلك الأولياء وما اختصَّ به كل نبيٍّ أو وليٍّ وما شاركه[1] فيه غيره.

وعلم الاصطلام العام، وعلم الوجد، وعلم الشوق.

ومنها: علم السبحات الوجهية من حيث الذات لا الصفات.

ومنها: علم الحكمة، وأن الحق تعالى خلق الخلق في ظلمة، ومن تحقق به علم سر المكوَّنات بأسرها هناك، واطَّلع على قصصهم أجمعين.

ومنها: علم الصفات والمقادير، وبأي سبب طُوي علم السِّير المقدَّر عن الرسل فمن دونهم، وبأي شيء طُوي، ومتى ينكشف للرسل القدر؟ وأين ينكشف لهم؟.

ومنها: علم أسباب وجود تقدير الطاعات والمعاصي.

ومنها: علم العقول، ومنه علم الصفات، ومنه علم صفات آدم عليه السلام وتوليته وفطرته، وما الفطرة، وما سبب تسميته بشر.

ومنها: علم المقدَّم، وبأي شيء تقدَّم آدم عليه السلام على الملائكة وبأي شيء نالها

ومنها: علم عدد الأخلاق التي منحها، وكم خزائن الأخلاق، وما الأخلاق التي عِدَّتها مائة وسبعة عشرة خلقًا لله تعالى، وكم للرسل سوى محمد ﷺ منها، وكم لمحمد ﷺ منها، وأين خزائن المنن وأين خزائن سعي الأعمال، ومن أين يُعطى الأنبياء.

ومنها: علم كلام الله تعالى لأهل الوقوف، وعلم كلامه للموحِّدين خاصة،

---

(١) بالأصول: شركه.

وما كلامه للرسل - عليهم الصلاة والسلام - من النظر إلى ربهم يوم الزيارة.

- وعلم حظوظ المحدِّثين والأولياء والعامة من ذلك النظر.

ومنها: علوم الرؤية ولماذا يذهل الراؤون من أهل الجنان عن نعيمهم حين ينصرفون بحظوظهم من ربهم، وهل هو لاشتغالهم بالنظر إليه أم لا.

ومنها: علم الثناء [ومنه علم الثناء][1] الذي يُثنى به محمد ﷺ حين يُعطى لواء الحمد، وبأي شيء يختم ذلك الثناء حتى يتناول مفاتيح الكرم وعلى مَن تُوزع عطايا ربنا هناك.

ومنها: علم جزء النبوة، وما النبوة؟ وما علم عدد أجزاء الصدِّيقية، وما الصدِّيقية وكم على[2] سهمٍ ثَبتت العبودية، وما يطلب الحق من الموحدين.

ومنها: علم سكينة الأولياء.

ومنها: علم حظوظ جميع المؤمنين من قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ (الحديد:٣).

وحظ كل مؤمن من قوله تعالى:﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص:٨٨)، ولِمَ خصَّ الوجه دون غيره.

ومنها: علم المبادئ [ومنه علم مبادئ صيغ الحمد] بجميع[3] كلها.

ومنها: علم التأمين.

ومنها: علم السجود وبدؤه.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) هكذا بالأصل ولعلها: وعلى كم سهم...

(٣) سقط من (أ).

ومنها: علم العزَّة، وما معنى «العزة إزاي والعظمة ردائي»[1]، وما الرداء؟ وما نتاج الملك؟.

ومنها: علم الوقار.

ومنها: علم صفات مجالس الهيبة وصفة ذلك الآلاء، وصفات ذلك الضياء وصفات ذلك القدس.

ومنها: علم الشراب والكأس، وشراب الحب وكأسه ومن أين عين الاختصاص، وما شراب حبِّه لك حتى يُسكرك عن حبك له.

ومنها: علم القبضة، ومن الذين استوجبوها حتى صاروا فيها، وما صنيعه تعالى بهم في القبضة.

ومنها: علم النظر إلى الله تعالى، وكم عدد نظراته إلى الأولياء كل يوم.

ومنها: علم المعيَّات مع جميع الخلق من الأنبياء والأصفياء والخاصة والعامة.

ومنها: علم الذِّكر ومنه علم قول الله تعالى:﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

وقوله تعالى:﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة:١٥٢).

ومنها: علم الرؤوس من كل شيء، وما رأس أسمائه تعالى الذي اشتقَّ منه جميع الأسماء، وما تحتوي عليه الأسماء من العلوم.

---

(١) رواه مسلم بلفظ «العز إزاره والكبرياء رداؤه» (كتاب البر والصلة ٤٧٥٢) وأبو داود بلفظ «الكبرياء ردائي والعظمة إزائي» (كتاب اللباس ٣٥٦٧) وكذا ابن ماجة (الزهد ٤١٦٤) ورواه أحمد بلفظ العزة:(٧٠٧٨)، بلفظ العظمة (٨٥٣٩) ولفظ الإمام ﷺ فيه تقديم وتأخير كما لا يخفى.

ومنها: علم الأسماء التي أُبهمت على الخلق لا على الخاصة من الأولياء بها نالها صاحب سليمان ﷺ، وما سبب طي علم ذلك عن سليمان ﷺ، وعلى ماذا اطَّلع من الأسماء على حروفها أو على معناها، وأين باب هذه الأسماء التي خَفيت عن الخلق دون الخاصة، وما كسوتها وما حروفها، وأين الحروف؟

والحروف المقطَّعة مفتاح كل اسم من أسمائه، فأين هذه الأسماء؟ وإنما هي ثمانية وعشرون حرفًا، وكيف صار الألف مبتدأ الحروف دون غيره؟ وما حكمة وضع الألف على صورة الرجل الواقف ينظر إلى قدميه؟ ولِمَ كرَّر الألف واللام في آخرها؟ ومن أي حساب صار عددها ثمانية وعشرون حرفًا؟ وما الذي يخصُّ كل حرفٍ منها على حدته من العلوم؟ وماذا ينتج منها؟

ومنها: علم الخلق، ومنه علم: «خلق الله تعالى آدم على صورته»[1].

ومنها: علم التمنِّي ولِمَ تمنَّى اثنا عشر أن يكونوا من أمة محمد ﷺ كما ورد ذلك.

ومنها: علم [قوله][2] تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾.

ومنها: علم قول العبد: السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته.

وعلم قوله أيضًا: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»[3].

ومنها: علم أسباب الأمان ومنه قوله ﷺ: «**أهل بيتي أمان لأمتي**»[4].

وما عدد أهل بيته الذين أشار إليهم.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ: رواه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٦١٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٤)، والحميدي (٢/ ٤٧٦)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) ليس في (ب).

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢٣٠١)، ومسلم (١/ ٣٠١).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٢)، والحكيم الترمذي (٣/ ٦١).

ومنها: علم الخزائن، وأين خزائن الحجة من خزائن الكلام من خزائن علم الله من خزائن علم البدء.

ومنها: علم الأم، [وأما][1] أم الكتاب فإنه تعالى ادَّخرها لمحمد ﷺ من بين جميع الرسل ولجميع أمته.

ومنها: علم المغفرة، وما المغفرة التي غفر الله تعالى لنبيِّنا محمد ﷺ، وقد بُشِّر النبيُّون كلهم بالمغفرة لعصمتهم.

ومنها: علم التقييد ومنه تقييد الحق بامتزاج[2] الكون عنه مع كونه في قبضته وتحت سلطانه.

ومنها: علم السياسة[3] في الدعوة إلى الله تعالى.

ومنها: علم الصدور والورود.

ومنها: علم الوزن والموزون من الرجال.

ومنها: علم صفات مَن يدخل النار، وصفات مَن يدخل الجنة، وعدد ما خرج من ظهر آدم عليه السلام ويخرج من بنيه إلى يوم القيامة.

ومنها: علم مراتب الإيمان والسلام والإحسان على اختلاف طبقات الخلق.

ومنها: علم الإحاطة بالأعمال إحاطة مشاهدة لا إحاطة تلبُّس[4].

---

(١) في (أ): وما.

(٢) كذا بالأصول ولعل صحتها: بامتياز.

(٣) في (أ): الثبات.

(٤) حقيقة الإحاطة أن يكون المحيط بالذات محاط به بالشخص في العين، وفي المعنى أن يكون المحيط بالعلم محاط به بالمعلوم الأول بالوجود والاستغراق، والثاني بالشهود والاستهلاك.

ومنها: علم الحضرات، وعلم الحضرة التي تقلب الحقائق ولا تقلب نفسها وهي من جملة الحقائق.

ومنها: علم الغايات التي تطلَّبها الرسل، وثوابهم من الله تعالى في هذا الدَّار.

ومنها: علم النيَّات الإلهية في التكوين والنسب.

ومنها: علم الزهد، ومنه: علم التزهُّد في المحبوب من أجل المحبوب مع اتِّصافه بالحب في المزهود فيه، وبقاء ذلك الوصف عليه.

ومنها: علم البياض والسواد.

ومنها: علم الروح الجزئي لا الكلي.

ومنها: علم البرزخ الأول والثاني والثالث.

ومنها: علم الظهور والبطون.

ومنها: علم أسماء السور وأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: علم القلب.

ومنها: علم أسماء المقرَّبين ودرجاتهم في القربة.

ومنها: علم الإرادة وما متعلقاتها في سائر المرادات.

ومنها: علم الالتباس في الموت ومن يتَّصف بالضدين.

ومنها: علم الاستدارج.

ومنها: علم ما يقبله الحق من النعوت.

ومع ذلك لا ينبغي أن تُنسب إليه؛ لكونها في الشرع والعُرف صفة نقص في الجناب الإلهي، وهي شرفٌ ورفعة في المخلوق.

ومنها: علم الفنون، ومنه: علم فنون العلوم، وأنه ما ثَمَّ إلا عالمٌ بالله تعالى، غير أن من العلماء مَن يعلم أنه عالمٌ بالله، ومنهم مَن لا يعلم أنه عالمٌ به وهو على علمٍ بمن يشهد ويعاين، وهو علمٌ واسعٌ.

ومنها: علم النكاح الكوني وما أُلحق به.

ومنها: علم الأمانات.

ومنها: علم السرِّ والجهر.

ومنها: علم العلم الذي [لا](1) يشترك فيه الملك مع الكامل من البشر.

ومنها: علم المواثيق والعهود.

ومنها: علم التطور، ومنه: علم تطور العبادات البدنية والمعاصي البدنية صورًا.

ومنها: علم المداينات الإلهية.

ومنها: علم أصحاب الفترات وحكمهم عند الله في الدنيا والآخرة.

ومنها: علم ردُّ الأشياء إلى أُصولها.

ومنها: علم المؤخذات، ومنه: علم مؤاخذة المجبور.

ومنها: علم التشبيه وأن للحق تعالى أن يتجلَّى بصفة التشبيه، **وليس لعباده أن يشبِّهوه**، ومتعلق هذا العلم بالسمع ليس للعقل فيه مدخل.

ومنها: علم الأسماء ومَن سمَّى الله تعالى بغير اسمه ما حكمه في التوحيد

ومنها: علم مراتب الضلال والإضلال.

---

(1) ليس في (ب).

ومنها: علم التأثير، ومنه تأثير الخلق في الحق تعالى بالإجابة، وتحكّم الأدنى على الأعلى، ولكن بحكم التنـزلات الإلهية فضلاً ورحمةً.

ومنها: علم الشركاء وعلم حال من أظهر التشريك، وهو لا يعتقده.

ومنها: علم كينونيات الحق تعالى في أينيات مختلفة مع أنه ليس كمثله شيء.

ومنها: علم الرحمة والسلطان في الدنيا والآخرة، وأن [السلطان للرحمة][1] يوم القيامة إذا انتهى حُكم العدل.

ومنها: علم الحشر وأنه عامٌ لكل ما ضمَّته هذه الدار الدنيا من معدنٍ ونبات وحيوانٍ وأنسٍ وجانٍ وسماءٍ وأرضٍ.

ومنها: علم الوفاة والبعث في الدنيا، وعلم الوفاة التي يكون البعث منها في الآخرة، وعلم الانتقالات إلى البرزخ في الموتتين.

ومنها: علم مراتب الأرواح الملكية في عبادتهم.

ومنها: علم النجاة، ومنه: نجاة العالم بأسره كلٌّ بما يناسبه، وهو علمٌ غريبٌ منصوص عليه في القرآن، ولا يشعر به إلا الخاصة.

ومنها: علوم المشاهدة، والرؤية والنظر، والفرق بينهما.

ومنها: علم التشبيه بمن لا يقبل التشبيه، ومَن يقبل التشبيه فهو محمودٌ ومذمومٌ، فالمحمود تشبيه عالم التكليف منها بعالم التسبيح، وكتشبيه الإنسان بمن تقدَّمه في مكارم الأخلاق والمذموم التشبيه بصفات إبليس.

وأمَّا التشبيه بالحق تعالى في الصفح والعفو عن ذلك فهو المطلوب عند أكثر أهل الله تعالى، وأما عند المحققين فلا يصحّ أبدًا، وما قال به من الحكماء إلا مَن لا

---

(١) في (ب): سلطان الرحمة.

معرفة له بالحقائق.

ومنها: علم حكم الليل والنهار والولوج والتكوين والنسيان، وإخراج الكثير من الواحد.

ومنها: علم أسباب نزول الكتب وما نزل [إلا][1] الكلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكُتبَ عن الرسل مَا كُتب في الكتب.

ومنها: علم كشف الغطاء، ومَن كُشف عنهم الغطاء حتى شاهدوا الأمر على ما هو عليه، هل يخاطبون بالآداب السمعيَّة أو يقتضي ذلك المقام الذهول وذهاب عقل التكليف.

ومنها: علم الدرك، وهل ضمان الدرك في دار الآخرة يكون على المفلس أو الموسر؟ إذا كانا ضمنا شخصًا في الدنيا ولم يُوفِّياه.

ومنها: علم كلام الموتى ومخاطبة بعضهم بعضًا في حال موتهم، وهل حالهم بعد الموت مثل حالهم قبل الإيجاد أمْ لا؟ وهو علمٌ نفيسٌ.

ومنها: علم التكليف يوم القيامة وقبل دخول الجنة.

ومن هنا نفعت أهل الأعراف السجدة حتى دخلوا [الجنة][2] بعد استواء الميزان، فلولا بقيَّة التكاليف هنالك ما نفعتهم تلك السجدة.

ومنها: علم العلامة[3] في السُّعداء والأشقياء، التي لا تتبدل، ومَن لم يظهر له علامة لأي فريقٍ يكون.

---

(١) ليس في (أ).

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (ب): العلامات.

ومنها: علم أولاد الليل والنهار بماذا يُفرَّق بينهم.

ومنها: علم القيام، ومنه: علم قيام العبد بصفتين متضادتين، وهو محمودٌ عند الله تعالى في الحالين.

ومنها: علم الرحمة التي هي قريبٌ من المحسنين، وهل هي الرحمة التي وسعت كل شيء أو هي رحمةٌ أخرى.

ومنها: علم السعادة، ومنه: علم حكم من أسعده الله تعالى على كِبر منه، وهو في علم الله سعيد.

ومنها: علم تبديل الشرائع ونسخها.

ومنها: علم الظهور، ومنه: إظهار العبد في عين القرب وصفات أهل هذا العلم تضيق عنها الأوراق.

ومنها: علم مراتب السجود الذي لا رفع بعده، وهل خلق [الله][1] تعالى العالم ساجدًا أو خُلق قائمًا؟. ثم دعا إلى السجود أو خلق بعضه قائمًا وبعضه ساجدًا، وهو علمٌ شريفٌ.

ومنها: علم المقابلة، ومنه: علم أنه لا يقابلك من العالم ولا من الخلق إلا صفتك، فأنت حجاب على نفسك لا غيرك، واجتهد ترى جرم المرآة في حال نظرك فيها لا تقدر، فإن صورتك حائلة بينك وبينها.

ومنه حديث: «**المؤمن مرآة المؤمن**»[2]، فلا يصل العبد إلى مقام التطهير من

---

(١) سقط من (أ).

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٢٨٠)، والبيهقي في الشعب (٦/ ١١٣)، والديلمي في الفردوس (٤/ ١٨٤).

الرذائل إلا إذا صار لا يرى في أحدٍ عيبًا؛ لأنه حينئذٍ رأى في أخيه صورة نفسه لا صورة أخيه، وهو علمٌ لطيفٌ.

ومنها: علم الخيال؛ وأنه يُدرك كما يدرك صورة المحسوس في اليقظة والمنام، وما ثم شيء محسوس مخيَّل من خارج ولا من داخل؛ بل هو كسراب تراه ماء، وكالصغير في السراب تراه كبيرًا، وكالجبل أبيض تراه على البعد أسود؛ فهذا خارجٌ عن الحسِّ والخيال فما حكمه

ومنها: علم المسابقة، ومنه: علم سابقة الله تعالى في عبده في نحو قوله في قاتل نفسه: «**بادرني عبدي**»[1].

ومنها: علم الآجال، وهل إذا انتهت الآجال يؤخَّر أصحابها بعد ذلك الانتهاء إلى أجل مُسمَّى أو لا يكون لهم أجل ينتهون إليه.

ومنها: علم التجريد، ومنه: علم التجرُّد الذي لا يعلمه إلا مَن تجرَّد عن شريعته، ومَن حكم ما فيه من الطبيعة، وهو كعلم الملائكة.

ومنها: علم تفضيل بعض النسب الإلهية على بعض، ومنه: علم آية الكرسي سيدة آيات القرآن، ومعلوم أن القرآن كله كلام الله تعالى، ومن المحال أن يكون في العالم شيء ليس له مستند إلى أمرٍ إلهيٍّ يكون نعتًا للحق كائنًا ما كان.

ومنها: علم السَّريان، ومنه: علم سَريان الربوبيَّة والسيادة في العالم حتى عُبِدَ من عُبِدَ مَنْ دون الله من الأفلاك والنَّار والشَّجر والعجل وسائر ما عُبد.

ومنها: علم الدوائر المهلكة، ومعرفة الأسباب التي تمنع من قبول العمل الصالح الخالص حتى يعمل العامل في غير معملٍ مع أن كل عملٍ برز في الوجود له مقابل.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢٧٥).

ومنها: علم قِسَم النِّعم على عباده وهي في أيدي العباد، وما لهم منها سوى الاحتراز[1] في نفس الأمر، وهم مسئولون عنها، ويُعاقبون على عدم إخراجها.

ومنها: علم أسباب الطرد الإلهي والعالم كله في قبضته، [فمن أين][2] يكون الطرد؟ وإلى أين يكون؟ والحق لا يتحيَّز في جهةٍ؛ وهو علمٌ واسعٌ.

ومنها: علم انتزال المنازل في القوالب، ولأي معنى تنـزل في الصور، ولا تنـزل معانيَ كما هي في نفس الأمر.

ومنها: علم الحكمة في المخالفات، ومنه: علم حُكم مخالفة الحق تعالى عبده المقرَّب فيما يريده منه، مثل قوله تعالى:﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (التوبة:٨٠)، ونحو ذلك.

ومنها: علم التضمينات، ومنه: علم ما تضمَّنه كل كتاب أُنزل من نفس اسم ذلك الكتاب؛ وهو علمٌ شريفٌ خاصٌّ بمن يعطيه الله تعالى جوامِع الكلم.

ومنها: علم العطيَّات الإلهية وأن من ابتدأه الحق تعالى بالرحمة يكون مآله إن شاء الله تعالى إليها بعد انتهاء مؤاخذته ووفاء حقوق الخلق وتبعاتهم.

ومنها: علم التحكيم، ومنه: علم ما يحكم على الله وهو خير الحاكمين، ومنه: يعلم أنه لو كانت صفاته تعالى زائدة على ذاته يحكم [على][3] الذات بما هو زائد على الذات، وقد زلَّت في هذه المسألة أقدام كثيرة؛ لقياسهم الغائب على الشاهد[4].

---

(١) في (ب): الخسران.

(٢) في (أ): فممن وفي (ب): فمن، وما أثبتناه للصواب أقرب.

(٣) سقط من (ب).

(٤) نقل الإمام الشعراني هذا الكلام بتمامه في اليواقيت والجواهر ص٨١ ج١، المبحث الرابع عشر، وهو كلام الشيخ الأكبر في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة، إلا أنه ختم المبحث بتقرير

ومنها: علم الحسرة وأن أحدًا لا يؤاخذه على ما جناه سوى ما جناه، فهو الذي أخذ نفسه فلا يلومنَّ إلا نفسه، ومن اتَّقى مثل هذا فقد فازَ فوزًا عظيمًا.

ومنها: علم الدعوة وإلى ماذا دعا الله تعالى عبده، والبعد والقرب في حقِّه سواء.

ومنها: علم التأثير، ومنه: علم تأثير الأعمال [الخيرية في الأعمال][1] غير الخيرية وأعمال الشر في أعمال الخير، وهو علمٌ عزيزٌ والعَالِم به أعز، وهو موجودٌ كثيرٌ في الكتب كالتوراة والقرآن.

ومنها: علم الفرق بين جميع الملل والفرق الناجية والهالكة.

ومنها: علم الحياة ولماذا اختصَّت الدار الآخرة باسم الحيوان والدنيا مثلها في هذه الصفة، كما يُشهد له.

قال تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء:٤٤).

ومنها: علم الأوليات في الموجودات، ومنه: علم الأولية في اليوم فإنه دائرة، ولا بُدَّ للدائرة من ابتداء وانتهاء إلى ذلك الابتداء، فإن اليوم دائرة الفلك الأطلس، وقد انفصل بالليل والنهار بطلوع الشمس وغروبها، وهذا العلم خاصٌّ بأهل الكشف التام.

مذهب أهل السنة والجماعة من السادة الأشاعرة من كون صفات الله تعالى لا هي عين ذاته ولا غير ذاته فقال: وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك. انتهى.

ويتلخص من ذلك أن الإمام الشعراني دله كشفه في البدء على مثل مذهب الشيخ الأكبر ثم عاد لتقرير مذهب أهل السنة والجماعة وكتابنا هذا ألف سنة ٩٣٣هـ بينما ألف اليواقيت والجواهر سنة ٩٥٥، فهو مؤلف متأخر. (محمد نصار)

(١) سقط من (أ).

ومنها: علم [المؤاخذات][1]، ومنه: علم حكمة أن الله تعالى ما أخذ ما أخذه من الأمم إلا في آخر اليوم لاستيفاء الحركة، كما [يتصور بالعينين][2] انقضاء فصول السنة.

ومنها: علم التجسُّدات والتصورات، ومنه: علم تجسُّد الأرواح في الأجسام الطبيعية.

ومنها: علم الحقوق، ومنه: علم حقوق الضيف على من ورد عليه والأنفاس، وأراد أن الحق تعالى على العبد وكذلك الخواطر وعدتها سبعون ألف خاطر كل يوم، وعدد من يدخل البيت المعمور كل يوم من الملائكة، فكل نَفَسٍ خرج رُدَّ إلى حضرة الحق إمَّا ذامٌ لصاحبه وإمَّا شاكرٌ وقليل مَن تحقق بهذا المقام.

ومنها: علم الإدخال والإخراج، وهل إدخال الحق تعالى نفسه مع الأكوان في السلوك والأحوال للحفظ أو لكونه العامل لما هم فيه، أو دخل معهم محبةً وعنايةً أو اقتضت ذاته ذلك الدخول وهو علمٌ نفيسٌ.

ومنها: علم العبيد والأجراء، والعبد إنما يعمل لنفسه فيما يستحق الأجرة من غيره.

ومنها: علم الإخبارات عن الله تعالى، وأن من أخبر عن عقل هَلك، ومَن أخبر عن ذوق نجا.

ومنها: علم الفرقان بين الكتب المنزلة من عند الله تعالى وإن كانت كلها كلام الله تعالى، ولماذا تكثَّرت وتعدَّدت آياتها وسورها هل لكونها كلامًا أو لكونها متكلِّمًا بها؟

---

(١) في (أ): المؤاخذة.

(٢) في (ب): يتربص بالعنين.

ومنها: علم حجج الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، وأنها ليست عن نظرٍ فكري، وإنما هي عن تعليمٍ إلهيٍّ.

ومنها: علم التذكُّر وأن كل إنسانٍ عالمٌ بالذات إلا أنه نسي فنهاية علمه هو ما يصل إليه وما وصل إليه هو ما كان عنده يوم:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف:١٧٢).

ومنها: علم المشاهدات، ومنه: علم مشاهدة الموت مع أنه نسبة عدميَّة، وفيمَن يحكم، وأنه لا حكم للموت فيمَن لا تركيب فيه من جمع البسائط، فإن لله تعالى خلقها للبقاء لا للفناء.

ومنها: علم النشآت وأن نشأة الإنسان لا تعطيه إلا توهُّم أن الحق تعالى في جهة الفوق، فيحكِّم وهمه على عقله.

ومنها: علم الحفظ في العالم، ومن حفظ منه بماذا حفظ؟ وممن حفظ؟ ولماذا حفظ؟.

ومنها: علم الحاصل في غين الغائب ومنه: قال تعالى:﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ ﴾ (البقرة:٢١٦).

ومنه: علم القلة والكثرة وأن الإنسان كلَّما علا قدره عند الله قلَّت علومه؛ لاكتفائه بتدبير الله تعالى له، وكلما نزل عن هذه الرتبة الشريفة اتَّسعت علومه، ونعني بالقلة: بالذات من طريق الشهود.

ومنها: علم الاختصاصات، ومنه: علم حكمة اختصاص التوراة بكتابة الحق لها بعده مع عدم حفظها من التبديل والتحريف.

ومنها: علم الجبر ومنه: يشهد العبد أنه مجبورٌ في عين اختياره، وأن الاختيار مُصَاحبٌ في بعض الأفعال لا كلِّها، وآخر ما ينتهي إليه المقادير، وذلك سبب مآل أهل الرحمة إلى الرحمة.

ومنها: علم التداخل والدور في نحو: «**إن الله لا يمل حتى تملُّوا**»[1].

ومنها: علم منـزلة القرآن ولمن جاء، وبما جاء، وإلى أين يعود؟

ومنها: علم تكليف كل شيء حتى الأطفال الرُّضَّع فإن الله ﷻ لا يعذِّب ابتداءً، وإنما يعذب جزاء، فجميع الآلام التي تحصل للطفل جزاء أفعاله، وهو علمٌ خاصٌّ بأهل الكشف.

ومنها: علم التسخير وأنه كما أمر الله ﷻ عبده فعصاه، كذلك [ربما][2] عبده في هذه الدار فلم [يجبه][3] فيها.

ومنها: علم العطيَّات وأن جميع ما وقع من الخلق عطيَّة إلهيَّة لهم حتى الكبائر من الذنوب، وهذا هو غاية الكرم، وهو علمٌ شريفٌ ستره الله تعالى عن غالب الأولياء فضلاً عن العلماء، وهو من علم الحكمة التي من أُوتيها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.

ومنها: علم الغيرة وأن الحق تعالى هو المعبود في كل معبود من خلف حجاب الصورة غير الإلهية؛ إذ لا يكون معبودًا إلا إيَّاه، وإليه الإشارة بقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ (الرعد:١٥) فافهم.

ومنها: علم مشاهدات[4] الأعمال والأقوال ملائكةً وشياطين وسباعًا وحيَّات وعقارب وغير ذلك، حتى الصوت الخارج من دبر الإنسان، وهو علمٌ شريفٌ.

ومنها: علم الرؤية للأرواح العلويَّة وعلامات صدق مَن يدَّعي رؤيتها، فإنه

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٨٦)، ومسلم (١/ ٥٤٠).

(٢) في (أ): دعا.

(٣) في (أ): يحبسه.

(٤) في (ب): مشاهدة.

ربما قامت للعبد خيالات فيتخيَّل أنه رأى الملائكة أو الجن، وإنما رأى أمثلة في خياله قامت له لقوة سلطان الخيال عليه، فهو يَصدُق فيما رآه، ولكن يخطئ في الحكم.

ومنها: علم حضرة الجمع بين العبد والرب، ومن هذه الحضرة ظَهرَ القائلون بالحلول والاتحاد، وزلَّت فيها كثير من الأقدام إذا الشُبه فيها قويَّة لا يقاومها دليلٌ مركَّبٌ، وأكثر مَن يدخل هذه الحضرة مَن يَسلُك على غير شيخٍ كامل وربما مات على هذه الحالة من غير خروجٍ، نسأل الله العافية.

ومنها: علم الموت ولماذا يرجع وما حقيقته وذبحه وصورته في عالم التمثيل كبشًا أملحًا، وكَان ذبحه على التعيين ولمن تنتقل حياته إذا ذُبح؟

ومنها: علم المسابقة، ومنه: [قال تعالى][1]:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (آل عمران:١٣٣).

ومنه: المسابقة إلى المقدرات القبيحة، فيشاهد كتابتها في اللوح المحفوظ من المحو، ويعلم أنه لا بُدَّ لَه مِن فعلها، فيبادر إليها ليفعلها، ويغيب شهودهَا عنه، فإنها صورةٌ في غاية القبح، فإذا وقعت غَرُبَتْ، وهو علمٌ كبيرٌ، وغوره بعيدٌ، وميزانه خفيٌّ دقيقٌ، وما في الموازين أخفى منه، وممن تحقق به حمَّدون القَصار [من الملامية][2].

ومنها: علم المشاهدات للحق تعالى لنا على الدَّوام، وبماذا يشهدنا، هل بذاته أو بصفةٍ تقوم به من الصفات السبعة.

ومنها: علم الزمان، وهو حكم في الاتحاد الإلهي لذاته، أعني الزمان أم هو بتوليةٍ يمكن عزله عنها، ومن هنا ورد أن الدهر اسم إلهي.

ومنها: علم الستر والتجلِّي الذي لأجله قال من قال: ليس في الإمكان أبدع

---

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ب): الملامية، دون لفظ «من».

من هذا العالم المعلومة جميع المراتب، فلم يبقَ في الإمكان أبدع إلا أمثاله، لا أزيد منه في الكمال الوجودي، الحافظ للأصول، وإيضاح ذلك لا يُذكر إلا مشافهةً لأهله.

ومنها: علم التلبُّس، فيهبك متاعك مثلاً من غير الوجه الذي تعرف منه أنه متاعك تلبسًا عليك، فإذا انكشف الغطاء علمت أنه ما أعطاك إلا ما كان بيدك، وما زادك مما عنده، ولا أفادك مما لديه، إلا تغير الصور، فمن وقف على هذا العلم قال بالرِّي في مشروبه، ومن حرمه لم يزل عطشانَ، والماء عنده حاضر، ولا يشعر به أنه عنده، وهو من أسنى علمٍ يوهبه العارفون، فهو كالمطر للأرض، وليس عين ما تطلبه من الارتواء سوى بخارها صعد منها، ثم نزل إليها مطر، فتغيَّرت صورته؛ لاختلاف المحل، [فما][1] شربت ولا ارتوت إلا من مائها.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في «**لواقح الأنوار**»[2].

ومنها: علم الكذب ومراتبه، وهل الأمر الذي يُعذب به الكاذب عدم لمناسبة الكذب [ومراتبه][3]، أو يُعذب بأمرٍ وجوديٍّ؛ لكون الكذب لَه مرتبة وجود في الوجود الذهني، [حينئذ][4] يعبرِّ عنه الكاذب فهو [عقوبته][5] مثل نسبته إلى الحس، فيكون بأمرٍ عدميٍّ، أو بمثل نسبته إلى الخيال، فيكون بأمرٍ وجوديٍّ متخيل، وهو علمٌ عجيبٌ في المشاهدة، لا علم لغالب الناس به؛ لجهلهم بالميزان الذي وضعه الحق تعالى عند رفع السماء، وبسط الأرض، به يخفض و [به][6] يرفع كما ورد.

---

(١) في (ب): فيما.

(٢) قيد التحقيق بطرفنا.

(٣) ليس في (أ).

(٤) ليس في (أ).

(٥) في (أ): عقوبة.

(٦) ليس في (ب).

ومنها: علم العلوم المتعلقة ببقاء الأرض، وهل جميع الوجود معمور حتى الخلاء معمور بما لا تدركه أبصارنا، أم ليس بمعمورٍ في نفس الأمر، وكذلك عمارة الأمكنة بما يتكون منها من نباتٍ وحيوانٍ ومعدنٍ، هل هو معمورٌ قبل التكوين على صورة ما خرج أم غير معمورٍ، وإذا كان معموراً فهل هو معمورٌ بالحق، أو بالملك، أو بالجان؟ ولا يكاشف بهذا إلا الأفراد من الرجال.

ومنها: علم الاعتبار، وهل يعتبر الحق تعالى من المكلف ظاهره وباطنه أو المجموع، وهو علمٌ شريف.

ومنها: علم حجاب الحجب في نحو قوله تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة:٤٨)، وهل حكم الله تعالى على أهل الكتاب بالجزية، وإبقائهم على دينهم، شرع من الله لهم على لسان محمد ﷺ، فينفعهم ذلك ما داموا يعطوا الجزية عن قوةٍ من الآخذين، وصَغارٍ من المأخوذ منهم، أم لا، وهو علمٌ غريبٌ من فتوح المكاشفة.

ومنها: علم مراتب الحق المخلوق به السموات والأرض وما بينهما، وكان سهل بن عبد الله[1] يقول: هو العدل.

---

(١) هو السيد الجليل والعارف بالله تعالى أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن رفيع التستري ﷺ، أحد أئمة القوم، ومن أكابر علمائهم المتكلمين في علوم الخواص، ويقول فيه أعيانهم: (سهل للسيادة أهلٌ)، صحب خاله الجنيد ومحمد بن سوار، ولقي ذا النون، وأخذ الأكابر عنه طبقةً بعد طبقةٍ، وطبق الأرض من علم الحقائق، فحسده فقهاء بلده، فقاموا عليه، ونسبوه إلى قبائح بسبب قوله: (التوبة فرضٌ على العبد في كل نَفسٍ)، ولم يزالوا به حتى أخرجوه من بلده إلى البصرة، فمات بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبعٍ، وكان يُسأل عن مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن عشرٍ، ولم يبرز للناس حتى وقع له الإذن من الله، وكان إذا جاع قوي، وإذا شبع ضعف =

ومنها: علم الحضرات التي أُنزلت منها الكتب الإلهية، وبيان أنها من حضرات مختلفة، فإن التوارة وإن كتبها الحق تعالى بيده، فما نزلت للإعجاز عن المعارضة، والقرآن نزل معجزًا، فاختلف الحضرتان.

ومنها: علم الجمع، وعلم الجمع الأوسط، وقد ظهر الجمع في ثلاثة مواطن:

الأول: في أخذ الميثاق.

والثاني: في البرزخ بين الدنيا والآخرة الذي هو [الصور][1].

والثالث: الجمع في البعث بعد الموت، وما بعد هذا الجمع جمع يعم، فإنه بعد يوم القيامة تستقل كل دارٍ بأهلها، فلا يجتمع عالم الأنس والجن بعد هذا أبدًا.

ومنها: علم السريان، ومنه سريان وجود الحق تعالى في العالم، ولهذا ما أنكره أحد، وإنما وقع الغلط في طلب الماهية، فأدَّى ذلك إلى الاختلاف الذي ظهر في

= وكان مذهبه ﷺ التحري في الحلال، فلم يوجد في زمنه من يدقق فيه مثله، وفي ذلك قال ﷺ من باب التحدث بنعمة الله: أنا حجَّة الله على الخلق، وأنا حجَّة الله على أولياء زماني. فبلغ ذلك أبا زكريا الساجي وأبا عبد الله الزبيري؛ فذهبا إليه، فقال له أبو عبد الله الزبيري، وكان جسورًا؛ لأنه كان ضريرًا: بلغنا عنك أنك تقول: أنا حجَّة الله على الخلق، وأنا حجَّة الله على أولياء زماني، فبماذا صرت، هل أنت نبيٌّ أو صدِّيقٌ؟ فقال ﷺ: لم أذهب حيث ظننت، ولست أنا نبيًّا، إنما قلت هذا؛ لأنني صححت أكل الحلال دون غيري. فقال له: وأنت صححت الحلال. فقال ﷺ: نعم، لا آكل دائما إلا حلالاً. فقال له الزبيري: وكيف ذلك؟ فقال له ﷺ: قسَّمت عقلي وقوتي ومعرفتي على سبعة أجزاءٍ، فأترك الأكل حتي يذهب منها ستة أجزاءٍ، ويبقى جزءٌ واحدٌ، فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وتتلف معه نفسي أكلت بقدر البلغة؛ خوفًا أن أكون أعنت على نفسي؛ ولترد علي الستة الأخرى، فبهذا صحَّ لي الحلال. فقال الزبيري: نحن لا نقدر على المداومة على هذا، ولا نعرف أن نقسِّم عقولنا ومعرفتنا وقوتنا على سبعة أجزاءٍ، واعترف بفضل سيدنا سهل ﷺ. ومات قُدِّس سرُّه سنة ٢٨٣هـ، نفعنا الله به، آمين.

(١) في (أ): الصورة.

العالم.

ومنها: علم الاتصال والانفصال، ومن تحقق به علم الاتصال بمن، والانفصال عن من، والاتصال والانفصال فيمن، وهو علمٌ عزيزٌ.

ومنها: علم التحكم على الله تعالى في أفعاله، ويقع فيه كثيرٌ من الناس، ويقول: لو كان الأمر لي لفعلت كيت وكيت، خلاف ما برز، وهل الذي أجرأ الخلق على ذلك صفة حق، أو صفة [جهل][1].

ومنها: علم القلب والنفس والعقل والسر.

ومنها: علم العلم الذي لا يتعلَّق بعملٍ.

[ومنها: علم عموم الولاية في كل نوعٍ، وما يعزل صاحبها منها، وما لا يعزل][2].

ومنها: علم [الإضافات][3] الإلهية، هل هي على طريق التشريف، أو على طريق الابتلاء، أو منها ما يكون تشريفًا، ومنها ما يكون ابتلاءً.

ومنها: علم [الأرزاق][4] من طريق الحَواس.

[ومنها: علم القضاء، وهل هو نافذ بأكثر على من هو على بصيرةٍ، أو خاص بالمختبرين][5].

ومنها: علم النصائح.

---

(١) في (أ): جزاء.

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (أ): الإضافة.

(٤) في (ب): الأذواق.

(٥) سقط من (ب).

ومنها: علم مآل الجهل والظن والشك والعلم بصاحبه.

ومنها: علم التركيب للكلام الإلهي مع [أحديته](1)، ومن أين قَبِلَ التركيبَ، وما هو إلا واحد العين، وذلك ليفرق الإنسان العالم بين حقيقة الكلام وبين ما يتكلم به [مَن](2) لَه صفة الكلام، فيطمئن التركيب حقيقة فيما يتكلم به، لا في الكلام، وهذا علمٌ لا يعرفه إلا العلماء بالله الذي سمعوا كلامه في أعيان الممكنات من خلف الحجاب.

ومنها: علم الرجوع الإلهي، وعلى من يرجع، هل على عباده أم على أسمائه.

ومنها: علم المولدات، ومنه علم نضج الجلود في جهنم، فإنه ليس ناشئًا عن النار، ولا عن الزمهرير، بل عذاب متولد بينهما من مجاورة كل واحدٍ منهما [لصاحبه، فيتولد من امتزاجهما حالة ثالثة، ليست هي عين واحد منهما](3).

ومنها: علم التجليات [الإلهية في المظاهر](4) حيث كان، فأمَّا العارف فيدركها دائمًا، والفرقان عنده دائم، فيعرف من تجلَّى، ولماذا تجلى، ويختص الحق تعالى بكيف تجلَّى دون العارف والنبي والملك، فهو من خصائص الحق تعالى.

ومنها: علم المعرفة، وأنه ما عرف أحد من الحق سوى نفسه، وإنما هي أعمالكم تُرد عليكم، فمن لابس حرير، ومن لابس مشاقة(5) كتان وقطن وما بينهما،

---

(1) في (أ): أحاديته.

(2) سقط من (أ)، والعبارة مضطربة في (ب).

(3) سقط من (ب).

(4) في (ب): في المظاهر الإلهية.

(5) المُشَاقة: ما سقط من الشعر والكتان ونحوهما عند المَشط، والمِشقة: المشاقة، والقطعة من القطن ونحوه. (المعجم الوسيط:٩٠٧).

فلا تلم إلا نفسك، ولا تلم الحائك، فإنه ما حاك لك إلا غزلك.

ومنها: علم أنواع العذاب، وحمله في عين أجسام المعذَّبين من كونه غير قائمٍ بهم، وهو من أشكل العلوم، كيف يوجب حكم لغير من قام به، فيشبه هذا العلم علم من يقول: إن الله إذا أراد أن يمضي أمرًا خلق إرادة لا في محلٍّ، ثم أراد بها أيضًا ذلك الأمر، وهو علمٌ واسعٌ.

ومنها: علم العلوم المتولدة من النظرة والضربة والرَّمية، وعلم الأسباب التي بها قامت هذه الأمور مقام كلام العالم للمتعلم، فسبحان معلم من شاء بما شاء كيف شاء.

ومنها: علم العقول، ومنه علم عقل ما ليس بحيوان إدراكَ[1] الحس العادي عن الله تعالى ما يأمره به مثل قوله:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ ﴾ (الأحزاب:٧٢).

ومنها: علم الأرواح، وأن الروح لا يعقل نفسه إلا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة، ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه غير منقسمٍ، ولا يعرف إنسانيته إلا بوجود هذا الجسم معه.

ومنها: علم الزجر والردع، ومنه طلب الزجر لكل من قال من الناس إنه علم ذات الحق، ولا ينكشف له جهله بما زعم أنه عالم به في الدار الآخرة، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

ومنها: علم التوحيد، وأنه لا يكون ذوقًا أبدًا، ولا تعلق لَه بالمراتب[2].

---

(١) في (أ): أن في إدراك، والعبارة به غير تامة، ويجوز أن تكون إدراك منصوبة على المفعولية أو التمييز.

(٢) في (ب): إلا بالمراتب، ولم نثبتها في المتن لأن المعنى هكذا يبدو أقرب للصواب.

ومنها: علم مشاهدة سريان الجنة والنار في الناس يقينًا[1] من غير تلبُّسٍ، وهو من علوم الأسرار، وممن تحقَّق به من الصحابة حذيفة ﷺ، فكان عمر ﷺ يأتي إليه ويقول: يا حذيفة، انظر هل فِيَّ شيءٌ مِن النفاق؟

ومنها: علم الأرباب المتخذة، ولماذا قال الله تعالى:﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:٦٤)، وهم إنما اتخذوها أربابًا مع الله.

ومنها: علم ما يفتحه التجلِّي في الجنة، وأنه ما كل تجلٍّ يقع به النعيم، وإنما يقع للمحبِّين المشتاقين الذين وفوا بشروط المحبة.

ومنها: علم العدم[2]، وهل له مرتبة عند الله يتعيَّنُ تعظيمه من أجلها، أم لا؟ وهل من خُلق من أهل الشقاء المغضوب عليه له مرتبة تعظيم عند الله، أم لا؟ وهل التعظيم الإلهي له أثر في المعظَم بحيث إنه يسعد به أم لا؟ وما سبب تعظيم الله تعالى لبعض العالم وكلهم عبيده؟.

ومنها: علم الجزاء المقيد، ومنه قوله تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ ﴾ (البقرة:٤٠): أي في موطن التكليف، وهو الدنيا، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ في الدارين معًا دنيا وأخرى، وأمَّا الجزاء المطلق فهو مجازاة العبد ربه بالشكر على ما أنعم، ومجازاة الحق لعبده بالمزيد فيما وقع عليه الشكر.

ومنها: علم الأبد والزمان، وهل الأبد زماني، أو هو عين الزمان، وبماذا يبقى الزمان هل يبقى بنفسه أو بغيره، ويكون له ذلك الغير كهو [معنى][3] ظرفًا لبقائه ودوامه، وهو علمٌ دقيقٌ.

---

(١) في (ب): تعيناً.

(٢) في (أ): العدل وهو تصحيف ظاهر.

(٣) في (أ): معنا.

ومنها: علم ما يتولَّد عن تآلف الروح والجسم الطبيعي، وهل الحكم للروح كالمرأة للبعل في النكاح، لما يتولد بينهما من الأحكام، وهل الموت طلاق رجعي أو بائن، فإن كان رجعيًّا فإن الأرواح تُرد إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث، وإن لم يكن رجعيًّا وكان بائنًا فقد تُرد إليها ويختلف التأليف، وقد ينشئ الله تعالى أجسامًا أُخر لأهل النعيم أصفى وأحسن، ولأهل العذاب بالعكس، والله أعلم، وهو علمٌ نفيسٌ.

ومنها: علم الجور في العالم، ومن أي حضرةٍ صدر، وما ثَمَّ إلا العدل المحض، فمن أين هذا الجور [وأي][1] حقيقة هو مرتبط بها، وأي اسمٍ من أسماء الله تعالى يدل عليه.

ومنها: علم مراتب الكفر، مثل كفران النعيم، وكفر الآبق، وكفر تارك الصلاة، والكافر ببعض ما أنزل الله تعالى.

ومنها: علم إباحة التشريع للإنسان بالأمر والنهي في نفسه لا في غيره، وأنه إن خالف ما تأمره به [نفسه][2]، أو تنهى عنه، عُوقب أو غُفر لَه مثل ما هو حكم الشارع ﷺ سواء، فمن أي حضرةٍ صح لَه ذلك، وهل للنفس ذوق في النبوة، أو هي نبوة خاصة غير نبوة الأنبياء المحجورة على أممهم، وهو علمٌ دقيقٌ، لاسيما على أهل النظر من المتكلمين.

ومنها: علم الهندسة، وهو علمٌ نفيسٌ، يعرف صاحبه طول العالم وعرضه وعمقه.

ومنها: علم الخنثى ومراتبه، وهل هو ذكرٌ وأنثى، أو لا ذكر ولا أنثى، فإن الله

---

(١) سقط من (أ).

(٢) سقط من (أ).

تعالى يقول:﴿ خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ (الليل:٣)، فهل يتضمَّن هذا الخطاب [الخنثى][1]، أو هو خارج عن هذا الخطاب، ويدخل تحت قوله تعالى:﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام:١٠٢)، فإن الخنثى برزخ متوسط، واسم الحيوان ينطبق[2] عليه، ولا بُدَّ فإنه ليس من خصائص الإنسان، كما أن الذكورة والأنوثة ليست من خصائص النوع الإنساني.

ومنها: علم النشر والطي، وفي أي أوانٍ يكون طي السموات، هل يتقدم بعث العالم أو يتأخر، [فإن تأخر][3] فأين يكون العالم عند ذلك، وهل تجتمع الملائكة والبشر في صعيدٍ واحدٍ في ذلك اليوم أم لا، وما أول قوة يكون لها الحكم عن البعث من قوى الحس، وهل يتقدم حكم قوة أخرى من قوى الحس، [وهل يتقدَّم][4] قبل البعث أم لا، وما الاسم الذي يتجلَّى فيه الحق ذلك اليوم لعباده، وهو علمٌ شريفٌ.

ومنها: علم العروش، وهل العرش الذي استوى عليه الاسم الرحمن، وهو العرش الذي يأتي عليه الله الحكم العدل يوم القيامة للفصل والقضاء، الذي تحمله الثمانية، أو هو عرش آخر، وما هذه الثمانية الـمُنكَّرة هل كلهم أملاك أو ليسوا بأملاك؟ أو بعضهم أملاك وبعضهم غير أملاك، وهل العرش سرير أو مُلْكٌ معين من الملك؟ ما [هو][5] الملك كله؛ لأن فيه أتَى[6] للفصل والقضاء بين عباده، وعباده من جلة الملك، فلا بُدَّ أن يكون ملكًا معينًا، وهل هذا العرش الذي يأتي عليه يوم

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في الأصلين: ينطلق، ولعلها: يُطلق أو ما أثبتنا وكلاهما أقرب للصواب.

(٣) سقط من (ب).

(٤) سقط من (ب).

(٥) سقط من (أ).

(٦) الضمير في «أتى» يعود على الحق عز وجل على الغالب.

القيامة هو ظلل الغمام، أم لا؟ وهل لنهاية سطح العرش فوقية أم لا؟ وما معنى الاستواء عليه وهو لم يتَّصف بأن له فوقًا؟ فإنه نهاية الجسم، فلا خلاء ولا ملاء بعده، وهذا كله إذا كان العرش سريرًا وملكًا خاصًّا من العالم، فإن كان العرش عبارة عن العالم كله [لا](١) عالم الأجسام فيحتاج إلى كلامٍ آخر، وهو علمٌ نفيسٌ.

ومنها: علم تغيُّر الأحوال على الخلق كلهم حتى على الملائكة، ومن أين حصل لهم ذلك.

ومنها: علم العطش، و[ما](٢) سبب عطش العالم الذي لا يقبل [الرِّي](٣) معه من العلم بالله تعالى.

ومنها: علم تذكر الإنسان للأمور التي نسيها، هل ما تذكره عين ما نسيه أو مثله، وهو علمٌ يحتاج إلى غوصٍ شديدٍ.

ومنها: علم الإنكار، ومن أين أنكر الجاهل على العالِـم، هل من حضرة الخيال، أو من صفةٍ وجودية في عينها، أو عن تخيُّل لا وجود لَه من خارج في عينه، بل في حضرة خيال المنِكر(٤)، فإن صورة إنكار العالم على الجاهل ما هي صورة إنكار الجاهل على العالم، وإن اجتمعا في النكرات، وهل في الحقيقة في العالم ما يُنكر أم لا؟ وهو علمٌ واسعٌ.

ومنها: علم الأعراس الإلهية.

ومنها: علم ما لكل اسم إلهي من الرحمة، وأن بعض الأسماء تعطى بظاهرها

---

(١) ليس في (ب) والكلام يقبل وجودها وحذفها.

(٢) سقط من (ب).

(٣) ليس في (أ).

(٤) في (ب): المكر.

ذهاب الرحمة منها.

ومنها: علم أحوال البعث، وما سبب اختلاف كلام المبعوثين من أهل القبور، ومن يجيبهم في ذلك، هل هو الحق أو الملائكة أو [العالمون][1]، وهل يتجلَّى لهم إذا بُعثوا صورة واحدة أم صور مختلفة، وهل ذلك التجلِّي إلهي أم لا؟ وهل يبعث غير المكلف من حيوانٍ ونباتٍ وحجرٍ؛ ليقوم به المطالبة، والحجة من الله على المكلفين، أو يُبعثون لأنفسهم بما لهم في ذلك من الخير المعلوم عند الله، ولماذا يُؤول أمرهم بعد البعث.

ومنها: علم أحوال المحتضَرين، وهل ما يقبض عليه الإنسان يبقى عليه في البرزخ، ويُحشر عليه، أو يتغير عليه الحال، أو يُقبض على ما يبدو لَه عند كشف الغطاء [قبل القبض، أو عين القبض، هو عين كشف الغطاء][2]، وهو خاصٌّ بأهل الكشف التام.

ومنها: علم آداب الدخول إلى حضرة الله ﷻ.

ومنها: علم الموت، وما معنى إحياء الأموات، ومن يميتهم: [أهو][3] الحق تعالى أو الملك، وما هو ذلك الملك هل هو بعض الأخلاط الذي قام بها الجسد الحيواني، فإن الأخلاط من ملائكة، أو هو ملك من ملائكة السموات، وهل للملك بنا لا بالموت حكم الموت، أو حكم قبض الأرواح، والعروج بها، وهل هو ملك واحد أو ملائكة، وقد بسطنا الكلام على ذلك في الدر المكنون.

ومنها: علم القضاء والقدر، وأن العبد لا يتعداهما[4]، وهل عم القضاء والقدر

---

(١) في (أ): العاملون.

(٢) سقط من (ب).

(٣) في الأصلين: هو، والمثبت للصواب أقرب.

(٤) في الأصلين: يتعداهم.

جهات الإنسان كلها، أو ليس لَه منه إلا جهتان: جهة الحادي[1]، والهادي، الذين هما [السائق][2] والشهيد، وما الذي أعمى الناس اليوم عن شهود هذين، وفي الآخرة يرونهما، ولما اختصا بالخلف والأمام دون سائر الجهات، والشيطان لَه مسالك الأربع جهات، وهو علمٌ نفيسٌ.

ومنها: علم الحكم، ومنه علم حكمة وضع الشرائع في العالم في دار الدنيا، وعدم وضعها في الآخرة.

[ومنها: تسخير العالم كلهٍ بعضه لبعض من أعلى وأدنى][3]

ومنها: علم منازل العُلا في الأسماء الإلهية، ومعرفة أحكامها.

ومنها: علم نتائج الجهل مع أنه أمرٌ عدميٌّ، فكيف يكون له حكم وجودي.

ومنها: علم الغايات، وأن الشرائع كلها تجري إلى أمدٍ، وغايتها حكم الحق تعالى بها يوم القيامة في الفريقين، فإذا تعمَّرت الدارين انقضى الأمد.

ومنها: علم الدعاة، وأن كل داعٍ إنما يدعو لنفسه، وإن دعا إلى الله، أو إلى غير نفسه فإنما يدعو من حيث نفسه؛ إذ هو يطلب بذلك الدعاء الأنس بالأشكال في المرتبة[4].

ومنها: علم ما وراء الستور والحدود، ولا يثبت فيه إلا الأكابر.

ومنها: علم القبيح الذي تحسِّنه المشاهدة، وهو سرٌّ عجيبٌ.

---

(١) في (ب): الحاوي.

(٢) بالأصلين: السابق.

(٣) سقط من (أ).

(٤) في (ب) الرتبة.

ومنها: علم الرسائل المبثوثة في العالم، وأن كل من يمشي في العالم إنما هو يمشي برسالةٍ.

ومنها: علم الأسباب التي صار بها الإنسان يطلب الأدنى، ويترك الأعلى، مع علمه [بشرف الأعلى.

ومنها: علم الودائع، وأين أودع الله علمه][1] في خلقه من العوامل، وهل أودعه في واحدٍ أو فيما زاد على الواحد.

ومنها: علم التحجير على الأكابر[2] من العلماء بالله تعالى، مع [أن][3] شهودهم لا يقضى به، وهو علمٌ يحتاج إلى غوصٍ شديدٍ.

ومنها: علم نزول الأعلى للأدنى وعكسه، والحقائق تأبى ذلك كله، وإن أوسع فيه بعض العارفين الكلام.

ومنها: علم التعظيم، ولِمَ تعظم العقوبة على المقرَّبين أصحاب المراتب العلية، ولم تكن رتبتهم تحميهم عن العقوبة، وما الفرق بين العقوبة والعذاب والألم والآلام.

ومنها: علم عدد كل نوعٍ من الحيوانات، حتى ينقطع [التناسل][4].

وأخبرني شيخنا مرة بعدد من خرج من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام، وما يخرج من بنيه إلى يوم القيامة، وأخبرني مرة بعدد الحروف التي تُكتب من هذه

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): الأكبر.

(٣) ما بين المعقوفتين ضروري لاستقامة المعنى، ويجوز أن تكون «مع» تحريف من النساخ وأصلها: أن شهودهم...

(٤) في (أ): الثناء.

الدواة، حتى ينفد الحبر منها.

وكان سيدي أحمد بن الرفاعي ﷺ يقول: لا يبلغ العبد عندنا مبلغ الرجال حتى يعرف ثمانين ألف أمة، الجن والأنس أمة واحدة منها.

ومنها: علم الدَّواوين الإلهية والكتَّاب والعمال والمتصرفين.

ومنها: علم الميل والاعتدال، وبأيهما يقع التكوين.

ومنها: علم المحاربات الإلهية ولمن يحاربون، وما ثَمَّ إلا الله وجنوده.

ومنها: علم المنع، وأن المنع الإلهي قد يكون هو عين العطاء لمن تأمَّل.

ومنها: علم الأسباب التي عصم لأجلها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: علم التدبير، وأن الروح الواحد تدبر نفوسًا كثيرة، ومنه الصورة التي تنشأ عن الأبدال، ولو بلغت ألف صورة، فأي صورةٍ خاطبتها أجابتك، ووقع ذلك كثيرًا لقضيب البان، ولسيدي حسين أبو علي، ولسيدي عبد القادر الدشطوطي، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ومنها: علم الروح والبرزخ.

ومنها: علم إيمان الإيمان.

ومنها: علم الصدور والورود، ومن أين صدر هذا العالم وإلى ماذا يصير.

ومنها: علم العلم الذي لا يعلمه نبي ولا ولي كان قبل هذه الأمة، وهو خاصٌّ بالوارث المحمَّدي.

ومنها: علم العلامات الظاهرة والباطنة على كل شيءٍ وفي كل شيءٍ.

ومنها: علم الظلم من أين ظهر، وعن أي أصلٍ انفصل، ومنه علم الظالم لنفسه، والظالم لعمله وعلمه، والظالم لخلق الله تعالى.

ومنها: علم الفروق بين أعمال النفوس وأعمال القلوب.

ومنها: علم العلوم التي هي جهلٌ وعكسه.

ومنها: علم المحو والإثبات.

ومنها: علم رجعة[1] العالم الروحاني من أين وإلى أين.

ومنها: علم الغيوب الداخلة في الشهادة.

ومنها: علم النفث في الروع من الروح.

ومنها: علم الإضافة، وأن الشرور كله مضافة إلى عالم الخلق، والخير كله مضاف إلى عالم الأمر، وما الذي اقتضى هذا التقسيم.

[ومنها: علم][2] الظلالة[3]، ومنه عرف أهل الكشف كسوف[4] الشمس، وأنه من الخشوع الطارئ على القمر بالتجلِّي.

ومنها: علم الوافد على الله تعالى في كل لمحةٍ من الملائكة وغيرها.

ومنها: علم الرؤية، وكيف رأى محمد ﷺ ليلة الإسراء موسى عليه السلام، وغيره من الأنبياء وهم في الأرض في قبورهم، وقال: «**رأيت موسى**»[5]، ولم يقل: رأيت روح موسى، ولا جسد موسى.

---

(١) من (ب): رحبة.

(٢) سقط من (ب).

(٣) (ب): الإضافات.

(٤) (ب): كشرف.

(٥) رواه البخاري (٣/ ١٢٤٣)، والديلمي في الفردوس (٣/ ٤٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٥).

ومنها: علم العلوم التي ما اشتغل بها أحدٌ إلا هلك هلاكًا دائمًا، وهي علوم السر الذي اختص بها حذيفة وغيره.

ومنها: علم العلم الساري في المعلومات، حتى أن جميع العلوم معلومات بهذا العلم لا بأنفسها.

ومنها: علم القدرة والاقتدار والفرق بينهما.

ومنها: علم الارتقاءات، والمعارج في اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

ومنها: علم المواد، ومنه علم مواد الحجارة التي توقد بها النار في الآخرة، وكيف قبلت الوقود وهي يابسة، واليابس لا يقبل الوقود.

ومنها: علم الالتفاف[1]، ومنه علم صور الالتفاف[2] الأرواح بالأجساد، وجميع الارتباطات.

ومنها: علم عقل ما ليس بحيوان، وإدراكه الحسي[3] العادي عن الله تعالى في نحو قوله:﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ ﴾ (الأحزاب:٧٢).

ومنها: علم الجمع بين الضدين، ولا يعلم إلا بقوة وإمداد إلهي، وهو وجود الضد في عين ضده، وهذا العلم من أقوى علم تعلم به الوحدانية؛ لأنه يشاهد حالاً لا يمكنه أن يجهله.

ومنها: علم الليل والنهار، وهل الليل والنهار زمان، أو دليل على أن ما ثَمَّ زمان، وهل حدثًا في زمانٍ أو لا.

---

(١) (أ): النفاق وهو تصحيف ظاهر.

(٢) (أ): النفاق وهو تصحيف ظاهر.

(٣) مر هذا العلم قريباً.

ومنها: علم السماع من الحق تعالى، ويحتاج إلى آدابٍ لا تُحصى، وعقلٍ حاضرٍ لا يغفل، وعينٍ لا تقبل النوم ولا تعرفه، ومشاهدة دائمة، وعلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر من هذا العلم، وهو لأفراد قليلة من الأولياء.

ومنها: علم السريان في سائر الموجودات، ومنه علم سريان الجنة في سائر أهلها من الآن، وسريان النار في أهلها كذلك كما تقدَّم، وعلم من هو في عذابٍ واحدٍ، ومن هو في عذابين، ومن لا عذاب لَه من سائر المكلفين.

ومنها: علم المحبَّة، ومنه: علم الأسباب التي أوجبت أن يحب الإنسان غير الله مع أنه هو المحسن على الدوام لا غيره.

ومنها: علم النطق، ومن أين نطق الأطفال والبهائم، ومَنْ ينطقهم، وبماذا ينطق الأطفال قبل الإفصاح[1].

---

(١) قال سيدي عبد العزيز الدباغ فيما ذكرناه عنه العلامة أحمد بن المبارك في «الإبريز»: من تأمل كلام الصبيان الصغار وجد السريانية [التي هي لغة الملائكة والأرواح] كثيراً في كلامهم، وسب ذلك أن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر، فكان آدم عليه السلام يحدث أولاده في الصغر ويسكتهم بها ويسمى لهم أنواع المآكل والمشارب بها فنشأوا عليها وعلموها أولادهم وهلم جراً، فلما وقع التبديل فيها وتنوسيت، لم يبق منها عند الكبار شيء في كلامهم وبقى عند الصغار منها ما بقى.

وسر آخر وهو أن الصبي مادام في حال الرضاع فإن روحه متعلقة بالملأ الأعلى، وفي ذلك الوقت يرى الصبي منامات، ولو رآها الكبير لذاب لغلبة حكم الروح في ذلك الوقت وغلبت حكم الذات على الكبير، وقد سبق أن لغة الأرواح هي السريانية، وكما أن ذات الصبي ترى المنامات السابقة والحكم للروح، فكذلك قد تنطق بألفاظ سريانية والحكم للروح.

«قال رضي الله عنه: فمن أسمائه تعالى لفظة «أغ» التي ينطق بها الصبي الرضيع وهو اسم يدل على الرفعة والعلو واللطف والحنان، فهو بمنزلة من يقول: يا علي يا رفيع يا حنان يا لطيف...» إلى آخر ما نقله ابن المبارك عن سيدي الدباغ رضي الله عنهما. انظر الإبريز ط. المكتبة العلمية ص٢١٧. (محمد نصار)

ومنها: علم العلوم التي تحصل لأهل الجنة إذا دخلوها، وأهل النار إذا دخلوها.

ومنها: علم عقل العقل، وعلم العقل الذي في الإنسان لاقتناء العلوم، والعقل الذي وُجد لدفع الهوى.

ومنها: علم الاتساع الكوني، ومنه: معرفة طول العالم وعرضه وعمقه، وعلم حد الأرض وما وراءها.

ومنها: علم طي الزمان، وعلم الساعة وصورتها، وهل لها إدراك سمع وبصر وشَم أم لا.

ومنها: علم التخريج، ومنه: خرج الأولياء جميع أحكام القرآن من أي حرفٍ شاءوا من حروف الهجاء طردًا وعكسًا، وممن تحقَّق به جعفر الصادق ﷺ، وكُمَّل الأولياء رضي الله عنهم أجمعين.

ومنها: علم صور الأعمال المشروعة، وهل لها وجود قبل أن يعمل بها المكلف أو لا وجود لها، وهي عين عمل المكلف.

ومنها: علم آداب الملوك من سائر الخلق من الإنسان والبهائم والطيور، وما يُشاركهم فيه العامة [ومالاً][1].

ومنها: علم الضم، ومنه ضم المعاني بعضها إلى بعضٍ، كضم الأجسام الظاهرة.

ومنها: علم المُدد والآجال، ومنه العلم بمدة إقامة كل صفةٍ في الإنسان، ومدة تبديلها.

---

(١) في (أ): مآلاً.

ومنها: علم العداوة، ومنه العلم بأسباب العداوة بين الله تعالى وبين خلقه.

ومنها: علم الظهور، ومنه علم [ظهور][1] الباطل بصورة الحق.

ومنها: علم الأحوال والمعارف التي تحصل للمكاشف إذا شاهد [الماهيات][2] من صورة العالم قبل ظهور أعيانها في الجسم الكلِّي.

ومنها: علم الرُّسل، ومعرفة أسماء جميع السفرة التي تنـزل بالصحف الإلهية.

ومنها: علم التنشيط، ومنه علم الأسباب التي قعدت بالثقلين من النهوض إلى ما فيه سعادتهم، بعد [إبانته تعالى][3] طريق السعادة على ألسنة رسلهم[4] عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: علم الكينونيات، ومنه علم كينونية الله تعالى في أينيَّات مختلفة هو واحدٌ فهو معنا أينما كنَّا في حال كونه في العماء في حال كونه مستويًا على عرشه، في حال كونه أقرب للإنسان من حبل الوريد، وهو من أوسع العلوم، ومَن تحقق به ارتفع [الخطأ][5] المطلق عنده في العالم.

ومنها: علم حضرات الأسماء الإلهية يوم الفصل والقضاء خاصة.

ومنها: علم التعددات ومعرفة سبب تعدد الأسماء الإلهية والذَّات واحدة.

ومنها: علم الاستحالات، ومعرفة ما يقبل الاستحالة مما لا يُقبل.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (أ): المهيأ.

(٣) في (ب): إبانة الله تعالى.

(٤) في (ب): رسله.

(٥) في (ب): الخطاب.

ومنها: علم كشف الغِطاء، وهل مَن كُشف عنهم الغِطاء حتى شاهدوا مَا شاهدوا يُسقط عنهم التكليف أم لا؟.

ومنها: علم صدور الخواطر ولماذا ترجع.

ومنها: علم الرحموتيات بأنواعها.

ومنها: علم مكفِّرات الذنوب، وماذا يكفِّر الصلاة؟ وماذا يكفِّر الزكاة؟ وماذا يكفِّر الصوم؟ وماذا يكفِّر الحج؟ وماذا يكفِّر الجهاد؟ وهكذا جميع الفرائض والنوافل.

ومنها: علم ما يبقى مع العبد في قبره من العلوم وما يفارقه.

ومنها: علم تعدد الأصول في العالم، ومن علمه تحقق بمعرفة عدد مَن يَدخل الجنة من ولد آدم ومَن لا يدخل.

ومنها: علم الهيئة[1]، وأعني بذلك: على طريق الكشف والشهود لا على التقليد، وهل السماء شبه الأُكرة أو شبه الخيمة؟، وهل هي أُكرةٌ في خيمة أو خيمة في أكرة؟ فتدور الأرض لدورانها، وهل السماء ساكنة أو متحركة؟ فإن الشهود يعطي جميع ما ذكرناه[2] في الحق منه.

ومنها: علم المشيئة الإلهية والوعد والوعيد، ولمَ قبل الوعيد المشيئة دون الوعد في أمر الخلود في النار لأهلها وكلاهما إخبارٌ إلهي.

ومنها: علم الاختراع الدائم.

---

(١) في (ب): الهبة.

(٢) هذه العبارة مضطربة في الأصلين، ولعل صوابها: فإن الشهود يعطي في جميع ما ذكرناه الحق منه.

ومنها: علم إعمار الأشياء وهو بقاء الشيء إلى زمان فساد صورته التي بزوالها يزول عنه الاسم الذي [كان يستحقه جمادًا كان أو نباتًا أو حيوانًا.

ومنها: علم الدَّوْر.][1]

[وقد][2] ورد **كل مولودٍ يُولد على الفطرة [فأبواه][3] يهودانه أو ينصرانه»**[4] الحديث، فمن أين جاء الكفر الأول؟ وهل ينـزل العقل هنا من حيث فكرِه منـزلة الأبوين في كون هذا الشخص قد أخرجه نظره من فطرته إلى إثبات الشرك عداً[5].

ومنها: علم الطاعات والمعاصي، ولما أطاع إبليس ربَّه في كل شيء إلا في السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، ولماذا قال في آدم: عصى، وفي إبليس: أبى، وهو علمٌ دقيقٌ.

ومنها: علم اتساع الرحمة الإلهية، ومَن تحقق به رَحم جميع العالم، وليس في العلوم أكثر نفعًا منه، فإن الله تعالى يرحم صاحبه بعدد مَن رحمه من جميع العالم.

قال الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد:٢١).

ومنها: أربعمائة علم وإحدى عشر علمًا من علوم الخضر عليه السلام مَن تأمَّلها من المدعين للعلم، عَلِمَ جهله يقينًا، وسلك الأدب مع الخلق أجمعين، لم يضعها أحد من

---

(١) سقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفتين لاستقامة المعنى.

(٣) بالمخطوط: ولكن أبواه، ولم نجد هذا اللفظ فضلاً عما فيه من لحن فلعله من تصرف النساخ.

(٤) رواه البخاري (١/ ٤٥٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧)، وأبو داود (٤/ ٢٢٩)، والترمذي(٤/ ٤٤٧).

(٥) في (أ): عدم، وما أثبتناه من (ب) ولعل الصواب «عدوا» أو «عمداً».

الأولياء في كتابه، وما يعلم أحد من العلماء قبل ذكري لها اسمًا، فضلاً عن الخوض فيها، حملني على [ذكرها](1) قوة الشفقة على المنكرين [قال تعالى](2):﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة:٢١٣).

إذا تقرَّر ذلك فأقول وبالله التوفيق بيان جملة مِن آداب طالب العلم مَن دخل منها وصل إن شاء الله تعالى إلى فهم كلام رسول الله ﷺ، وكلام وجميع المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين فمنها، وهو أهمها، أن يتلقَّى الأوامر الشرعية كلها بالسمع والطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ من غير بحثٍ ولا جدالٍ ولا رفع صوت ولا تأويل، فما أطلعه الله تعالى عليه من المعاني قال به وعمل به من غير حصرٍ للمعنى فيه، ليبقى لغيره الاحتجاج به في حكمٍ آخر، وما لم يُطلعه الله تعالى عليه من المعاني الدقيقة التي استخرجها الأئمة المجتهدون والعارفون يكل أمره إلى الله تعالى، ولا [يقف](3) يتفهَّم فيه بالفكر وإمعان النظر، فإن الفكر لا قَدم له في أسرار الشريعة، وإنما ذلك خاصٌّ بأهل الكشف والتعريف الإلهي من كُمَّل العارفين - رضى الله عنهم - أجمعين.

وقد خاض قومٌ في المتشابه من القرآن وآيات الصفات والحروف أوائل السور وغير ذلك بعقولهم، فضلُّوا، وكان الأولى لهم الأدب مع الله تعالى ومع رسله عليهم الصلاة والسلام، فإنهم جاءوا بها بلا تأويل، وهم أعلم الخلق بالله تعالى، وقد انقسم [المؤولون](4) على طوائف كثيرة، فطائفة طَعَنت في الرسل عليهم الصلاة والسلام فجعلتهم تحت سلطان الخيال والأوهام وهؤلاء من الأخسرين.

وطائفةٌ قالوا: إن الرسل أعلم الناس بالله ﷻ لكنهم تنـزَّلوا في الخطاب على

---

(١) في (أ): ذكرى لها.

(٢) ليس في (ب).

(٣) ليس في (أ).

(٤) ليس في (أ).

قدر أفهام الناس لا على ما هو الأمر عليه في نفسه فإنه محالٌ؛ فهؤلاء كذَّبوا الله تعالى ورسله فيما نسبه تعالى إلى نفسه بحسن عبارة.

وطائفةٌ قالوا: لا نقول بالتنـزُّل في العبارة، وإنما المراد بهذا الكلام كذا وكذا دون ما تفهمه العامة، كما عليه بعض القاصرين من المتصوفة، فهؤلاء تحكَّموا على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه.

وطائفةٌ قالوا: نؤمن بهذا الكلام كما جاء من غير أن نعقل له معنى على حد علم الله تعالى ورسوله ﷺ، فإن الإيمان بهذا اللفظ لا يضرَّنا ونسبة هذا الوصف إليه سبحانه وتعالى مجهولة عندنا، كما أن ذاته تعالى مجهولة عندنا من طريق الصفات البشرية والسلب، والجهل بالله تعالى هو الأصل فلنسلم ما وصف به نفسه، ونؤمن به على علمه بما قاله على نفسه، فهؤلاء لسان حالهم يقول: إن الله تعالى خاطبنا عبثًا؛ لأنه خاطبنا بما لا نفهم.

وطائفةٌ قالوا: لا نشك في صدق رسولنا ولكنه آتانا في نعت الله بأمورٍ وقفنا عند ظاهرها وحملناها عليه تعالى كما نحملها على نفوسنا، أدَّى ذلك إلى حدوثه وزوال كونه إلهًا، وقد ثبت بالأدلة القاطعة أنه إله وليس عندنا قوة نتعدى بها الظواهر، فأوَّلنا على ما ينصرف إليه المعنى من النظائر.

وكل هؤلاء أصحاب عقول معقولة طلبوا معرفة الأمور من غير أبوابها، لا يليق بأحد منهم التصدر لنفس كلام الله تعالى ولا سنَّة محمد ﷺ[1]، فمن أراد فهم

---

(١) هذه الآراء المنسوبة لهذه الطوائف نقلها القطب الشعراني ﷺ بتمامها من كلام الشيخ الأكبر في اليواقيت والجواهر، الجزء الأول، المبحث الثامن عشر، إلا أنه ينبغي التنبيه لأمرين مهمين:

الأول: أن الإمام الشعراني ﷺ عنون لهذا المبحث بأنه «**في بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، إلا إن خيف من عدم التأويل محظور كما سيلي**» - فالعبارة الأخيرة تفتح باباً للتأويل ومسامحة أهل السنة والجماعة الأشاعرة

رضي الله عنهم في لجوئهم إليه. واليواقيت من مؤلفات الإمام المتأخرة في العقائد، فينبغي إثبات تجويزه للتأويل عند الضرورة مع كون عدم التأويل هو القاعدة مع اعتقاد تنزيه الحق تبارك وتعالى عن ظاهر الألفاظ الموهمة للتشبيه من يد وقدم وساق وغير ذلك.

الثاني: أنه نقل المبحث عن الشيخ الأكبر القول بالتنزل في العبارة ونسب ذلك إلى الباب الثالث من الفتوحات المكية، وقد أجبنا أن نورد النقل بتمامه – مع طوله – لكثرة فوائده وأبرزنا في الطباعة مواضع الشاهد منه فلينظر:

وقال في الباب الثالث منها أيضاً اعلم أنه ما ضل من ضل من المشبهة إلا بالتأويل على حسب ما يسبق إلى الأفهام من غير نظر فيما يجب لله عز وجل من التنزيه فقادهم ذلك إلى الجهل الصريح ولو أنهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والأخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها إلى شيء البتة ووكلوا علم ذلك إلى الله ورسوله فلحوا وكان يكفيهم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١). فمتى جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا إن الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فما بقى إلا أن لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجىء ذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه.

على أنك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه أبداً وإنما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره إلى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي إلى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي إلى التشبيه ثم إنه يأخذ بعد ذلك في تأويله جور على ذلك اللفظ إذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك أيضاً من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس عليها ما لم أذكره لك.

فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الأصبع لفظاً مشتركاً يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ماله فإذا كان الأصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والأثر الحسن فبأي وجه يحمل الأصبع على الجارحة كأنه نص في ذلك ويترك وجه التنزيه فإما أن العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه وإما أن يسكت ويكل علم ذلك إلى الله وإلى من عرّفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولابد اللهم إلا أن يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين

بالتجسيم فعلم أن معنى الحديث على مذهب أهل الحق من هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد والله اعلم.

ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: ٦٧) نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلا في قبضة يدي يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحته منه شيء البتة وإنما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه ما ملكته يده حسياً وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها أو فائدتها وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فإنما ذكرها لأن اليمين محل التصريف المطلق القوي إذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى اليمين عن التمكن من الطي فهو إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى إلى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع قلوبهم إلى التلقي لها بالقبول والله اعلم.

ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع إلا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم من قبل ذلك وهناك يصح له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لأنه هو الخالق لذلك الأمر الذي أخبر أن يتعجب منه أو يضحك لأجله أو يفرح له فرجع المعنى إلى أن مثل ذلك إنما هو **تنزل للعقول** ليظهر لأصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث (يعجب ربنا من شاب ليس له صبوة) أي لا يقع في الزنا مثلاً مع ثوران شهوته، قال: ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الأمر فإن حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال.

وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب إذ هو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الأمر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد بالغضب الإلهي هو إقامة الحدود والتعزيزات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر إلى الأذهان فإن ذلك محال فإنه خالق لأفعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غيرهم مراده حتى يغضب عليهم، وأما الغضب الأخروي فيكون على أهل النار خاصة، أما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيامة ويُدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم.

ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فإن ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وأنه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله اعلم.

(ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث أني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فإن الله تعالى نفس عنه ﷺ بالأنصار حين أتوه من قبل اليمن وزال كربه بهم قال ويدل عليه إضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الأسماء التي لا تعطي الرحمة انتهى.

ابن تيمية يأخذ من الشيخ الأكبر مذهبه في المجاز ثم يضلله

وقد لاح لنا بالبحث والمطالعة أن ابن تيمية استفاد من بعض آراء سيدي محي الدين ابن عربي ثم قال بضلاله وكفره وتجاهل النص على نقله من كتب الشيخ الأكبر وهذا جحود مركب، فما كان أولى به إذ رأى نفسه يقتبس من كلام الشيخ الأكبر أن يلتمس له العذر ويحمل كلامه على محامل توافق الشريعة. ويعضد ما ذهبنا إليه نص ابن تيمية في عدة مواضع من فتاواه على كون ابن عربي أقرب المتكلمين في وحدة الوجود للإسلام، وأن في كتبه من الفوائد ما ليس في كتب غيره. وقد عرضنا هذا الأمر على طلاب علم جادين فوافقونا وقالوا إنهم حدسوا نفس الأمر ووجدوا في كلام ابن تيمية هذه الإفادات من كتب الشيخ محي الدين.

والنص التالي الذي نقله الإمام الشعراني في المبحث الثامن عشر من اليواقيت والجواهر عن كتاب الشيخ الأكبر المسمى «لواقح الأنوار» لو حذف منه عبارة "أهل الكشف" التي تأتي في صدره لظن المرء نفسه يقرأ في «نقض تأسيس الجهمية» لابن تيمية أو «الصواعق المرسلة» لابن القيم. وهذا هو النص المقصود:

قال الشيخ في كتابه لواقح الأنوار اعلم أنه ليس عند أهل الكشف في كلام العرب مجاز أصلاً إنما هو حقيقة وذلك أنهم وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا يد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة وبد المعروف للمعروف وهكذا ومن ادعى أنهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له إليه =

كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ بحيث لا يبقى عنده إشكال في حكم من الأحكام؛ فليعمل على جلاء مرآة قلبه من الصدأ والغبار على يد شيخ مرشد يسلِّم إليه قيادته حتى تنجلي مرآة قلبه، بحيث لو قابلها الوجود كله انطبع فيها من العرش إلى الثرى، فيصير يفسِّر كلام الله تعالى عن الله تعالى؛ لأن كل شيء قد أحصاه الله تعالى في الإمام المبين، وهو من جملة الأكوان بلا شكٍّ.

وقد قال رجلٌ مرة لأبي يزيد البسطامي ﷺ: رأيت صورتك الليلة صورة خنـزير فقال له: صدقت لأني مرآة الوجود، فرأيت صورة نفسك فحسبت أنك أنا.

وبالجملة: فلا يزول الإشكال من قلب عبدٍ وهو مقلِّد لعقله أبدًا، والسلام.

ومنها: أن ينظر في أحوال العلماء ويأخذ العلم عن أقلِّهم رغبةً في الدنيا، فإنه أنور [قلبًا][1] وأقل إشكالاً في الدين.

وقد قال ﷺ: «حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة»[2] فكيف يُؤخذ العلم عمَّن جمع في قلبه رأس كل خطيئات الوجود كلها، ومَنع من دخول حضرة الله وحضرة رسول الله ﷺ [فإن حضرة الله كلامه وحضرة رسول الله ﷺ][3] كلامه، ومَن لم يحتج فيه إلى تأويل ولا تفسير، ومَن رغب في الدنيا كغالب الفقهاء لا يُؤمل لذلك ولا يفهم كلام

= ولما قالوا فلان أسد وضعوا هذه حقيقة في لسانهم أن كل شجاع يسمى أسداً فوضعوا هذا الإطلاق حقيقة لا مجازاً ومن هنا يعلم العاقل أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شيء إذا التشبيه إنما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة وما عدا هذين الأمرين إنما هو ألفاظ اشتراك، فننسبها حينئذ متى جاءت إلى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات انتهى. (محمد نصار)

(١) في (ب): قلنا.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٨٨)، والمناوي في فيض القدير (٣/ ١٣٢).

(٣) سقط من (أ).

الشارع ﷺ، إلا أن فسَّر له بالكلام المغلق الضيق كما تقدَّم بيانه في خطبة الكتاب.

وقد سمعت مرةً نصرانيًّا يقول لفقيه: كيف يزعم علماؤكم أنهم ورثة نبيِّهم وأنصار دينهم، وهم يرغبون فيما زهد فيه [بطاركنا][1] ورهباننا، فقال له الفقيه: كيف؟

فقال: لأنهم يأخذون في إقامة شعائر دينهم عرضًا من الدنيا، ولو قُطع عنهم ذلك العرض لعطلوها ولم يفعلوها، وجميع القسيسين والرهبان يقومون بجميع شعائر ديننا من إمامة وخطابة وتعليم لا يأخذ منهم أحد الفلس الواحد، ولو عزموا عليه بذلك، ويقول: كيف آخذ أجرًا على ما أطلب به القُربة إلى الله تعالى.

فانظر قوة يقين أصحابنا وإيمانهم بما وعدهم به ربهم، وعدم تصديق علمائكم، وضعف يقينهم، فإنهم لو صدَّقوا ربهم فيما أخبر به نبيهم:﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾ (الشورى:٣٦)، ما باعوا قُرباتهم بعَرَضٍ من الدنيا.

ففرقٌ عظيمٌ بين حالنا وحالكم، فأين دعواهم أنهم أنصار دينهم ويموت الفقيه منهم أو العالم فيوجد بعده الألف دينار وأكثر، ولو وقع ذلك من بتركنا لرجمناه ولم نُصَلِّ عليه.

فقال له الفقيه: وهل بطرككم بهذه الصفة؟ فقال: شرطه ألا يبيت على دينار ولا درهم. وكذلك نُقل إلينا عن حالِ نبيكم، فإذا كان علماؤكم لا يقتدون في ذلك بنبيِّهم فلا أقل من المشي على رتبة بطركنا.

وأخبرني شيخنا ﷺ أن بعض الفقراء اشتكى إلى بعض العارفين كثرة الخواطر الشيطانية والوساوس فقال له: طلق ابنته بهجر زيارتك، فقال: وما هي ابنته؟ فقال: الدنيا. أفتريد يا أخي أن تتزوج ابنته ولا يزورها عندك فيقطع رحمة لأجلك، فقال:

---

(١) في (أ): بُتْركنا، وقد أبدلنا التاء طاءً كما تكتب الكلمة الآن.

يا سيدي فنراه يأتي كثير المن ليس عنده دنيا؟! فقال: إن لم يكن عنده دنيا فهو خاطبٌ لها، ومَن خطب بنت إنسان فقد فُتح باب المودة له وإن لم يدخل بها، فتأمل ذلك، فإنه نفيسٌ.

ومنها: إن يسارع على العمل بكل ما علم أولاً فأول، ولا يلقي كلّيته إلى حفظ المسائل ويُهمل العمل، وليجعل له وردًا من قراءة القرآن والذِّكر والصلاة على رسول الله ﷺ؛ لتذهب عنه ظلمة التقييد التي تحدث من البحث والجدال لأمورٍ ليس عنده دليل فيها من الكتاب أو السُّنة حتى يحمر وجهه، وينقطع صوته من الصياح على صاحبه كأنهما في مِلتين مختلفتين.

وقد كان سيدي إبراهيم التيمي رضي الله عنه[1] يقول: من أُوتي من العلم ما لا يُبكيه، ويحصل به الخشوع فهو لم يُؤتَ علمًا يُنتفع به؛ لأن الله ﷻ نعت العلماء وقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ (الإسراء:١٠٧).

وكان سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه[2] يقول: أولى الناس بالمقت فقيه

---

(١) كان رضي الله عنه من التابعين وتوفي في حبس الحَجَّاج بن يوسف سنة ٩٢ هـ. وكان يقول: كفى من العلم الخشية، وكفى من الجهل أن يعجب الرجل بعمله. وكان يقول: حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع. وكان يقول: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يديك منه.

(٢) هو السيد الجليل الحسيب النسيب أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ابن أمير المؤمنين الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وُلد سنة سبعين وأربعمائة، وتُوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة، وله من العمر إحدى وتسعون سنة.

وانظر في ترجمته: طبقات الشعران الكبرى (١/ ١٠٨)، ونور الأبصار للصبان (٢٢٤)، والنجوم الزاهرة (٥/ ٣٧١)، والشذرات (٤/ ١٩٨)، وسر الأسرار ،وفتوح الغيب، وقلائد

فاجر،كثير الجدال، لا يرى غير زعمه ودعاوى وهمه، إن تكلم [حار][1] وإن سكت خار.

وكان ﷺ يقول: من علامة أهل الطرد عن حضرة الله تعالى ألا تلين جلودهم ولا قلوبهم لذكر الله.

وذكروا بين يديه واحدًا من علماء عصره وأثنوا عليه. فقال: دعونا من ذكر أهل الطرد، فقالوا له: كيف يا سيدي وهو من علماء الإسلام فقال: ليس له من العلم إلا الاسم، فقالوا: كيف؟ فقال: هل رأيتم محبًّا لله ﷻ يثقل عليه تكرار اسم محبوبه، ويضيق صدره إذا أمر بذلك، فقالوا: لا، فقال: هؤلاء أشق ما على الواحد منهم أن يقال له: اترك درسك في النحو واللغة أو في هذه المسألة التي لا تعرف لها دليلاً من السنَّة. ويُقال: اذكر الله ﷻ ساعة، وقد قال تعالى: «**أنا جليسُ مَن ذكرني**»[2]. وكل مَن لم يقدر على المجالسة مع الله تعالى فهو مطرودٌ من حضرته، فقالوا: يا سيدي اشتغالهم بالعلم خير على كل حالة.

قال: صحيح، ولكن كلامنا في أهل حضرة الله تعالى لا في أهل حضرات أحكامه، وفرقٌ بين من مشهوده أحكام الحق، وبين من مشهوده صفاته وأسماؤه، فإن أحدهم يموت وهو من أصحاب الأحكام من الخلق لا يشهد الحق إلا عند موته، بخلاف من اشتغل باسم الذات، فلا يَذكر حتى يجتمع بصاحب الاسم؛ إذ الاسم لا يفارق المُسمَّى بخلاف الأحكام.

وقد طلب الشيخ فخر الدين الرازي الطريق إلى الله تعالى، فقال له الشيخ نجم

الجواهر، ومعدن الأسرار، وخلاصة المفاخر، والسيف الرباني، والروض الزاهر، والطراز المذهب. جميعها بتحقيقنا.

(١) بالأصلين خار، وما أثبتناه للصواب أقرب.

(٢) تقدم تخريجه.

الدين الكبري: لا تطيق مفارقة صنمك الذي هو عِلمُك فقال: يا سيدي لا بُدَّ إن شاء الله تعالى، فأدخله الشيخ الخلوة وسلبه جميع ما معه من العلم، فصاح في الخلوة بأعلى صوته: لا أطيق، فأخرجه وقال: أعجبني صدقك وعدم نفاقك، ولكن أنت صرت من معارفنا، فاعلم ذلك وأنت أعلم بنيّتك والسلام.

ومنها: أن يلزم الأدب مع الأئمة ولا يرى الخلاف بينهم خارجًا عن الشريعة كما مرَّ في الخطبة عن بعض الأولياء، ومن أراد امتحان ذلك فليجعل كل ما جعله بعض المجتهدين شرطًا في مرتبة الأولوية عند غيره، ففتش: كل ما قيل بشرطيته تجده أولى، كالقول باشتراط الطهارة بالماء المطلق، وكالقول باشتراط النيَّة والترتيب والتسمية والموالاة في الوضوء، وكالشرط بوجوب قراءة الفاتحة والاعتدال، ونحو ذلك في سائر أبواب الفقه.

ومنها: ألا يضيِّع عمره في تحرير مسائل لم تقع في الوجود، كان يفرض المحال أو النادر، ويجيب عنه.

وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يعدُّون ذلك من الاشتغال بما لا يعني.

وكَان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: لا تسألوا عما لم يكن.

وكان عمار بن ياسر ﷺ ووكيع، وربيعة، وسفيان وغيرهم إذا سألهم أحدٌ عن مسألةٍ يقولون: هل وقعت؟ فإن قال: لا، أعرضوا عنه.

وقد منع أهل الله تعالى العمل بقول مجتهد مات لاحتمال أنه لو عاش إلى اليوم ربما رجع فلا يعلم بكلام أحد بعد موته إلا رسول الله ﷺ(1).

---

(1) المقصود بهذا الكلام الأولياء الذين أطلعهم الله على أسرار الشريعة فلهم الاجتهاد والأخذ من عينها مباشرة وليس المقصود العوام المقلدين.

وقد كتب بعضهم أشياء سمعها في مجلس زيد بن ثابت فبلغه ذلك، فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، كيف يكتبون عني رأيًا قد أرجع عنه غدًا؟ ولعل ما سمعوه مني كله خطأ فإني إنما أجتهد.

وبالجملة: فمَن كان وقته عنده نفيسًا لا يصرفه إلا في نفيس، والسلام.

ومنها: وهو أمرٌ أغفله الفقهاء حتى طولَ عليهم زمنَ تفقههم، واستغرقوا أعمارهم فيه، وهو اشتغالهم بفهم تراكيب كلام بعضهم بعضًا ومنطوقه ومفهومه حتى بعدوا عن الشريعة الحق المعصومة، وعن فهم أسرارها المطهَّرة، ولو تركوا جميع كلام غير رسول الله ﷺ ولم يعملوا بشيءٍ منه فلا حرج عليهم في الدنيا والآخرة، كما [مر][1] في الخطبة وجميع أقوال العلماء لا تخلوا عن ثلاثة أحوال:

إمَّا أن يوافق صريح السُّنة الواردة فالمنَّة للسنة، والمجتهد كالحاكي لها.

وإمَّا أن يخالف صريح السُّنة فتُترك ويعمل بالسنَّة.

وإمَّا ألا يَظهر موافقتها ولا مخالفتها، فأحسن أحوالها الوقف عن فعلها وتركها سواء، إلا أن تكون مائلة إلى الاحتياط في الدين، كالقول بمنع استعمال الحشيش والبنج وسائر ما يخدِّر ولا يُسكر، فالعمل بها حينئذٍ أرجح ولو لم تصرِّح الشريعة بذلك.

ومما طولَ عليهم أيضًا: الاشتغال بفهم [علل][2] الأحكام التي تَعبَّدهم الله تعالى بها، وقد ذمَّ الله تعالى طلب ذلك. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ (البقرة: ٢٦)[3].

---

(١) سقط من (أ).

(٢) سقط من (أ).

(٣) هذا الكلام بالنظر إلى عصر الإمام حين لم يكن طعنٌ في الشريعة المطهرة، أما في زماننا حيث تكالب أهل الأهواء طعناً في أحكام الشريعة ونقضاً لمناسبتها لحياة الناس متعللين بتغير الأزمان،

ثم لا يخفى أن كل عمل لم يُظهر له الشارع تعليلاً من جهته فهو تعبدٌ محض؛ لأن العمل إذا عُلِّلَ ربما يكون الباعث للعبد على عمله حكمة تلك العلة وثمرتها، فيخرج عن آداب العبودية، فإن العبد إنما شأنه امتثال الأمر واجتناب النهي امتثالاً لأمر الله لا غير، وقد أدَّى مَن يتَّبع العلل من العلماء إلى وجوب العمل بالقياس، ويا ليت شعري! من أوجب العمل به في الشريعة والوجوب لا يكون إلا بنصٍّ صريحٍ من الشارع ﷺ، ولو قالوا بجواز أو باستحباب لكان أخف حالاً من الوجوب.

وكان إمام الحرمين - رحمه الله - يقول: كثير القياس ليس من الدين، يعني: ليس من الدين الوارد صريحًا عن رسول الله ﷺ وإلا فهو دين العلماء بالاستنباط، وبه أخذ مقلدوهم.

وكان شيخنا ﷺ يقول: القياس في أحكام الله تعالى ممن ليس بنبي زيادة حكم في دين الله تعالى بالرأي، فإنه طردٌ [علة][1]، وما يُدريك لعل الله ﷻ لا يريد طرد تلك العلَّة، ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسول الله ﷺ، فكان يبيِّن لأمته طردها، هذا إذا كانت العلة مما نصَّ الشارع ﷺ عليها في قضيةٍ، فما ظنُّك بعلة يَستخرجها الفقيه بفهمه ونظره من غير أن يذكرها الشارع، ثم بعد استنباطه إيَّاها يطردها، فهذا

وليس هو بتغير الزمان بل بتغير الناس وتأثرهم في معايشهم وتفكيرهم بل وفي شعورهم وأحساسيهم بالغرب العلماني - في زماننا هذا يكون طلب حكمة الشريعة في أحكامها أمراً ضرورياً دفاعاً عن الشريعة من المطاعن وحفظاً لأحكامها التي تنظم حياة الناس. وجدير عن فعل ذلك أن يستعين بكلام أهل الله العارفين المكاشفين، ففي كتبهم يرد كثير من الحكمة الكامنة في الشريعة، ولعل هذا يحتاج لمن يقبلون بكليتهم على سلوك طريق السادة الصوفية المتشرعين المتحققين دون أدعياء الطبل والزمر ودون تزيغ عقيدته نحو تشيع أو رفض أو تساهل في الكلام الموهم للاتحاد دون بيان مقاصده. والله تعالى أعلم. (محمد نصار)

(١) بالأصلين: عليه وهو تصحيف ظاهر من النساخ رحمهم الله. وطرد العلة هو اطراد العلة الجامعة بين أمرين في الحكم بطريق القياس.

شرعٌ لم يأذن به الله[1].

وقد كان ﷺ يقول: «**ما تركت شيئًا يقرِّبكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئًا يبعدكم عن الله تعالى إلا وقد نهيتكم عنه**»[2].

فمَن زَعم أن رسول الله ﷺ ترك التصريح بشيء أمر الله به أو نهى عنه، فقد مرق من الدين.

وفي الصحيح: إن رسول الله ﷺ قال لحذيفة ﷺ: «**إن النبوَّة والرسالة قد انقطعتا فلا نبيٌّ بعدي ولا رسولٌ**»[3].

فانقطعت زيادة التكاليف الإلهية بموت رسول الله ﷺ، واستقرَّت الشريعة، وتبيَّن الغرض والواجب وغيرهما، فلو قُدِّر أن أحدًا أمرنا بأمرٍ زائد في عبادتنا [ومعاملاتنا][4] وقال: أوحي به إليَّ فلا نخرج[5] عما [يأمره][6] الشارع من الأحكام، فإن هذا المدَّعي إن أمر بفرضٍ وواجبٍ، كان الشارع قد أمرنا به، وإن أمر الخلق بإيجاب مباح، قلنا له: هذا عين نسخ الشريعة ورددناه عليه؛ لأنه [صير][7] [فعل

---

(١) غير خاف متابعة شيخ الإمام الشعراني سيدي علي الخواص – للشيخ الأكبر في هذه المسألة، فقد كان الشيخ الأكبر ينفي القياس بمثل هذا الكلام. وقد جرت مذاهب الأئمة المتبوعين على القول بالقياس والعمل بما تولد عنه من أحكام. والله تعالى أعلم. (محمد نصار)

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٧/ ٧٦)، وفي الشعب (٢/ ٦٧).

(٣) ذكره ابن حجر (١٢/ ٣٧٥)، والزرقاني في شرحه (٤/ ٤٥١).

(٤) سقط من (أ) ومكانه كشط وبياض.

(٥) كلمة غير مقروءة في (أ).

(٦) في (أ): يأمره.

(٧) في (أ): صير

المباح][1] مأمورًا به.

وقد كان ﷺ يتبرأ من مرتبة التحليل والتحريم إلا بأمرٍ من الله تعالى، ويقول: «الحلال ما أحلَّ الله، والحرام ما حرَّم الله»[2].

هذا بعد نزول قوله تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء:٨٠)، كل ذلك أدبًا منه ﷺ مع ربِّه ﷻ، فكذلك يكون أدبنا معه ﷺ لا نزيد عمَّا حدَّه لنا شيئًا واحدًا فافهم.

ووسِّعْ على الأمة كما وسع عليهم الشارع ﷺ، واعتقد أن الإنسان لو تقيَّد مع الوارد صريحًا في الشريعة، وترك العمل بجميع ما ولده العلماء فلا حرج عليه ولا لوم، إلا إذا اجتمعت الأمة عليه، فإنه حينئذٍ يحرُم حذفه كصريح السنَّة، كما مرَّ في مِيزان الشرائع.

ويُقال في الآخرة لمن وَلَّد في الأحكام الشرعية ما ليس منها: لما زدت في أحكام شريعة نبيِّك ما لم ينـزل به سلطان، هل أنت أعلم بمصالح الأمة منه ﷺ؟ أم رسول الله لم يبلغ كل ما أمر بتبليغه؟ أم لم يؤمر[3] به؟.

فإن قال بالأولَيْنِ كفر، فما بقى إلا الثالث وهو أنه لم يؤمر به ﷺ، فيُقال له: شيء لا يؤمر به رسول الله ﷺ وترك الأمر به رحمة بأمته، فلأي شيء زدته وأمرت به؟!.

فلا يزال في التوبيخ حتى يود أنه لم يكن ولَّد في الشريعة حكمًا واحدًا.

---

(١) في (أ): فعلاً مباحاً.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ١١١٧)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٢٣٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٦١).

(٣) في (أ): يأمر وهو تصحيف وتصرف من الناسخ بقرينة البناء للمجهول في قوله:«أم رسول الله لم يبلغ كل ما أُمِرَ بتبليغه».

ومن هنا امتنع ابن عباس رضي الله عنهما أن يجعل من وقع في عرضه في حلٍّ، وقال: أعوذ بالله أن أحل ما حرَّم الله، أو أزيد في شرع الله ما ليس فيه إن الله قد حرَّم أعراض المسلمين فلا أحلَّها، ولكن غفر الله لك يا أخي هذا أدب أكابر العلماء، وأمَّا غيرهم فقاسوا وولَّدوا في الأحكام واستدلوا بقوله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[1]، نعم وما قال: ورثتهم في حمل شرائعهم ولا في تشريع الأحكام.

وبقوله ﷺ: «**العلماء الأحكام**»[2].

وبقوله ﷺ: «**مَن سنَّ سنَّة حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها**»[3]، وغيرهما من الأحاديث.

وقالوا: إن الشارع ﷺ أخبر: «أن العلماء في منازل الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام»[4]، وقرر حكم المجتهد بينهم وقبله، وذلك تشريع عن خبر الشارع وإذنه.

وقالوا: كل مجتهدٍ منهم [يصيب][5] من التشريع، كما أن كل نبيٍّ معصوم.

وكان شيخنا ﷺ يقول: [إنما تقيدت][6] هذه الأمة بالتشريع؛ ليحصل لهم نصيبٌ من تشريع الرسل، وثبت لهم فيه العزم حتى لا يتقدَّم عليهم سوى نبيِّهم، فتحشر علماء هذه الأمة في صفوف الأنبياء والرسل لا في صفوف الأمم.

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٣١٧)، والترمذي (٥/ ٤٨)، وابن ماجه (١/ ٨١).

(٢) لم أقف عليه هكذا.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٩)، والترمذي (٥/ ٤٣)، والدارمي (١/ ١٤٠).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٣/ ٧٧).

(٥) سقط من (أ).

(٦) في (أ): يتعبدون، ويجوز أن تكون: تُعُبِّدَتْ.

وقد قلت مرة لشيخنا ﷺ مسألة في الفقه، فقال: من أين لك هذه؟ فقلت: هذه من كلام بعض العلماء.

فقال: من أين أخذها من الشريعة؟ فقلت: لا أدري.

قال: كيف تعمل بما لا تدري أهو موافق للشريعة أم لا؟

فقلت: أما قال الله تبارك وتعالى:﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٤٣)؟!.

فقال ﷺ: ذلك عليك لا لك؛ فإن هذا إنما هو فيما نصَّ الله ﷻ عليه، لا فيما سكت تعالى عنه.

فما أمرنا تعالى بسؤال العلماء إلا لينقلوا إلينا حكم الله تعالى في الأمور لا رأيهم الذي رأوه، فمن سُئل من العلماء عن حكم الله ولم يطّلع عليه، فالأدب أن يقول إذا أجاب السائل: هذا ما رأيته وفهمته، ولا يقول: هذا حكم الله تعالى.

وفي حديث بريدة ﷺ كان رسول الله ﷺ إذا بَعث جيشًا يقول لهم:

«إن أرادوا أن ينـزلوا لكم على حكم الله فلا تفعلوا، فإنكم لا تدرون ما حكم الله، ولكن لتنـزلوهم على حكمكم، ثم احكموا فيهم بما بدا لكم»[1].

فتأمَّل ذلك واعمل عليه تُدرك الشريعة وتتفقَّه في دينك في مدةٍ يسيرة، فإن الشريعة التي تعبَّدك[2] الله تعالى بها كلها واضحة؛ لأن مجموعها: افعلوا كذا واتركوا كذا، وهذا لا يقف في فهمه أقل العوام والله يتولى هداك، والله يتولى الصالحين.

ومنها: ألا يفتح على نفسه باب مجادلة أبدًا، ولو مع مُنصف عالم بموازين

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٥٧)، والترمذي (٤/ ١٦٢).

(٢) في (ب): قيدك، وانظر الحاشية ٦ في الصفحة السابقة.

حظوظ النفوس؛ لأن لكل واحدٍ من الخلق وجهًا خاصًّا يفهمه من الشريعة لا يشاركه فيه غيره.

وكَلام الشارع ﷺ متنوع بحسب قوابل جميع مَن أُرسل إليهم، عَلم ذلك مَن عَلمه وجهله من جهله.

هذا كله فيما طريقه الفهم، [ولم][1] يرد صريحًا في السنَّة من مذاهب المجتهدين.

أمَّا ما ورد في الكتاب والسنَّة فلا مجال فيه بل يجب التسليم فيه، ولو لم يتعقَّله إلى أن ينوِّر الله تعالى باطنه، وينظر المرتبتين اللتين[2] ذكرناهما في الخطبة بالعينين، فيقلِّد جميع أحاديث الشريعة وما انبنى عليها من أقوال المجتهدين، فما دام في حضيض التقليد فأدبه عدم الجدال مع مثله.

ثم الناس في ذلك على قسمين فأهل القسم الأول: لا خلاف بينهم؛ لأن الكشف يقيِّد صاحبه على الشريعة، ويخلق صاحبه بالرحمة لمن لم يُكشف له، فإنه متى جادله كان [ساعياً][3] في هلاك المحجوب عند الله تعالى.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥)، وهو أن تعرض عليهم ما تأمرهم به فإن أطاعوا، وإلا أعرض عنهم حتى يأمرك الله ﷻ فيهم بما شاء من قتالٍ أو غيره، فإنه ﷺ كان الغالب عليه الرحمة.

وأما القسم الثاني: فلا ينبغي لهم المجادلة؛ لأن نهاية أحدهم الظن فيما ذهب إليه، فلأي شيء يقول أحدهم لصاحبه: اترك ظنك إلى ظني.

ثم اعلم أن كل مَن جادلك في أمرٍ وأكثرت له الجواب ولم يرجع إليك، فهو

---

(١) في (أ): فلم.

(٢) أي مرتبتى التشديد والتخفيف.

(٣) في (أ): ساع، وفي (ب) شاع، وكلاهما تصحيف

مملوكٌ تحت حضرة الاسم القاهر له، فلا يمكنه الرجوع إلى كلامك حتى ينقضي زمان القهر، كما أنك أنت الآخر مملوك تحت الاسم المقابل له، فلا ترجع إليه.

هذا شأن كل مَن نظر بعين واحدة من العلماء، وأمَّا مَن نظر من العارفين [بعينين فإنه لا يقع في شيء من ذلك، فحكم المقلد مع العارف](١) في الجدال حكم اثنين دخل أحدهما بيتاً نهاراً ورأى جميع ما فيه والآخر لم يدخله، لكن أخبره جماعة بأن داخل هذا البيت كذا وكذا، وظن صدقهم، فالأول الذي دخل مثال العارف، والذي لم يدخل مثال المقلِّد، فالذي دخل البيت نهارًا ورأى جميع ما فيه [لا يتزلزل عن علمه بما يقيمه عليه الذي لم يدخل من أدلة المخبرين الذين لم يدخل أحد منهم البيت ولو بلغوا [حد] التواتر، لأن أحداً لا يُكذِّب حسه.

وحكم المقلد مع المقلد في جدالهما حكم اثنين لم يدخل واحد منهما البيت أو دخلاه في ظلمة أو ذهول ثم اختلفا في صفة داخل البيت، فليس واحد منهما على يقين مما يقول في صفته.

وحكم العارف مع العارف حكم اثنين دخل كل واحد منهما البيت نهاراً مع صحة عقله، ورأى جميع ما فيه، فهما لا خلاف...](٢) بينهما، ولذلك لم يختلف نبيَّان قط في علمهما بالله ﷻ أبدًا، فافهم.

فما ثَمَّ عارف مقلِّد لمجتهد أبدًا في قوله؛ إذ العارف على يقينٍ، والمجتهد على ظنٍّ، بل جميع ما بأيدي المجتهدين من المسائل التي فهموها من الكتاب والسنَّة بعض ما عند العارف بدليل ما قدمنَّاه من علوم العارفين - رضي الله عنهم أجمعين .

وقد فتح الله علينا بذلك على يد بعض الأولياء رضي الله عنهم، فلا ينبغي

---

(١) سقط من (أ).

(٢) سقط من (أ).

لأحد أن يأمرنا بالتقيد بقول المجتهدين؛ لانفكاكِنا عن التقليد لغير رسول الله ﷺ؛ لأنه ما من أثرٍ وقولٍ في الشريعة إلا ويشهد استمداده من بحر الشريعة، والبحر من أي الجوانب أتيته واحد، فمن أمرنا بالتقليد فقد ظلمنا، ثم لا نرجع إلى قوله؛ فكل أقوال العلماء متساوية عندنا في الصحة، ولكن كلما مال إلى الاحتياط في الدين فهو أولى لغير الضعفاء: أي أولى للآخرين بالعزائم.

وقولنا للطالب مثلاً: [هذا][1] القول أصح، ليس لترجيح قام عندنا بين أئمة المسلمين، كما لا نفرِّق عندنا بين الأنبياء والمرسلين في الإيمان، فمن فرَّق بين الأئمة فقد خان الله ورسوله، وفتح بابًا من الظلم لهذه الأمة.

وقد ذكر العلماء في كتب العقائد أنه يجب على كل إنسانٍ أن يعتقد أن سائر أئمة المسلمين على هدًى من ربهم، فإن لم يكن ذلك كشفًا فإيمانًا، ومَن نزل عن الإيمان فقد خسر مع الخاسرين.

وهذا الأمر من أعسر الأمور على مَن تقيد[2] بمذهب معين، كما هو مُشاهد، وربما لو حبس أحد المقلِّدين لمذهب وضربٍ لا يخرج عن ذلك المذهب إلى غيره حتى كأنهما في ملَّتين مختلفتين، وكل هذا من كثرة الجهل.

بل سمعت بعضهم يقول من الحنفيَّة: فإن قال الخصم: كذا، قلنا: كذا، نعوذ بالله من الضلال، فإن غالب المقلِّدين قد عمَّهم ذلك وتراهم يقولون سائر أئمة المسلمين على هدًى من ربهم بألسنتهم فقط، وتنفر نفوسهم من العمل بأقوالهم، وإذا اضطر إلى العمل بقولٍ غير إمامه بقوله: نقلد فلانًا للضرورة من باب: «الضرورات تُبيح المحظورات»، كأنه وقع في معصية، بل فِعْلَهُ هذا هو المعصية الكبرى، فيجب

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): تعبد.

عليه التوبة والاستغفار من ذلك، فإنهم لو كانوا يعتقدون أن الأئمة على هدًى ما نفرت نفوسهم من العمل بأقوالهم؛ لأن الهدى لا تَنفر منه نفس من شاهده أنه هدًى، فتأمَّل.

ولم يبلغنا أن أحدًا من علماء السلف أمر أحدًا أن يتقليد بمذهبٍ معين، ولو وقع ذلك لوقعوا في الإثم؛ لتفويتهم العمل بكل حديثٍ لم يَأخذ به ذلك المجتهد الذي أمر الخلق باتِّباعه وحده، والشريعة حقيقة إنما هي مجموع ما بأيدي المجتهدين كلهم لا بيد مجتهدٍ واحدٍ، فجميع علماء الشريعة في فلك الشريعة يسبحون رضي الله تعالى عنهم أجمعين؛ لأن جميع أقوالهم لا تخرج عن مرتبتين؛ لأنها إمَّا مائلة إلى الأخذ بعزائم الأمور، وإمَّا مائلة إلى الأخذ بالرخص، ولكلٍّ من المرتبتين رجال، فمن أمر أصحاب مرتبة بفعل المرتبة الأخرى من صعودٍ أو نزولٍ فقد أخطأ كما تقدَّم في الخطبة، وما ندب بعض العلماء إلى عدم تتبع الرخص إلا في حق غير أهل الرخصة من الأقوياء [لا][1] المتساهلين في دينهم، كالذي يتَّبع الحيلة على كل مال يتيم، أو وقفٍ أو مَال ظالمٍ ونحو ذلك.

ولم يُوجب الله تعالى على أحدٍ التزام مذهب من مذاهب المجتهدين بخصوصه؛ لعدم عصمته، ومن أين جاءنا الوجوب والأئمة كلهم تبرَّؤوا من الأمر باتباعهم، وقالوا: إذا بلغكم حديث فاعملوا به، واضربوا بكلامنا الحائط رضي الله عنهم أجمعين، فتأمَّل ذلك فإنه نفيسٌ[2].

---

(١) سقط من (أ).

(٢) قد يلتبس على القارئ خلاصة كلام الإمام الشعراني ﷺ فيظن أنه يدعو كل أحد لأخذ الأحكام من الكتاب والسنة بنفسه وعدم تقليد الأئمة مطلقاً، وليس هذا مذهبه بكل تأكيد لأنه قال آنفاً إنه لا يرجح بين المذاهب وجعل الترجيح بين الأئمة قسيماً للتفريق بين الأنبياء، فكلامه ﷺ يتوجه لمن تعصب لمذهبه ولم ير الحق إلا فيه، بينما الحق مجموع مذاهب المجتهدين الذين تلفت

ومنها: ألا يخوض بفكره فيما طريقه الكشف والتعريف الإلهي كحقيقة الروح، وحقيقة الذات [المقدسة، أو حقيقة الخلق وكيفية وجودهم مع الذات][1]، أو حكم أصحاب الفترات، أو حَال الناس في البرزخ، أو وصول الثواب ووقوع العقاب، ونحو ذلك من جميع الأبواب التي سدَّها الشارع ﷺ، ولم يصرِّح بأحكامها في سنَّته؛ إذ كل بابٍ سدَّه الشارع ﷺ ولم يفتحه ليس لأحدٍ قدم في الخوض فيه على وجه اليقين بعقله أبدًا، وإنما ذلك خاصٌّ بأهل الكشف والتعريف الإلهي.

وقد ذكر في «الفتوحات المكيَّة» جملة من أقسام أهل الفترات، فلا بأس بذكرها هاهنا مع وزنها بقواعد الشريعة، فأقول: قال الشيخ قدس الله سره[2]:

اعلم أن أهل الفترات هم الذين نشأوا في زمان الفترة بين رسولين، فلم يعلموا بشريعة النبي المتقدِّم لانْدرَاسِها، ولم يشرَّع بعد شرع النبي الآتي، [ثم][3] هم متنوعون في أعمالهم واعتقاداتهم بحسب ما تجلَّى لقلوبهم من الأسماء الإلهية عن علمٍ منهم بذلك وعن غيرهم، وهم على أقسام كثيرة.

فقسمٌ وحَّد الله تعالى بما تجلَّى لقلبه عند فكره، فهذا صاحب دليل ممتزج بكون من أجلِّ فكره كقس بن ساعده وأضرابه، فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك، فإنه

الأمة أقوالهم بالقبول، أما الاختلاف بين الأئمة فهو انعكاس لحقيقة كون الشريعة تشمل التشديد والتخفيف أو الرخصة والعزيمة، فما كان الأئمة في اختلافهم إلا ناطقين بشمول الشريعة للأقوياء في الدين الذين ينبغي لهم العمل بالعزيمة، وللضعفاء الذين يناسب حالهم الأخذ بالرخصة. (محمد نصار)

(١) سقط من (ب).

(٢) هو سيدنا ختم الولاية الثاني سيدي محيي الدين بن عربي الطائي، قدس الله سره، وأعلى في العالمين ذكره، ونفعنا به وبعلومه.. آمين.

(٣) سقط من (أ).

ذكر المخلوقات، وذكر اعتباره فيها وهذا هو الفكر.

ولهذا كان يبعث أمة واحدة؛ لأنه غير تابعٍ في أعماله لشريعة نبيٍ من الأنبياء، وكذلك قال رسول الله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل: «**أنه يحشر [رسول]**[1] وحده حين أخبروه عنه أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم ويسجد**»[2].

وأخبر عنه ﷺ: «**أنه كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله تعالى وأنزل لها من السماء ماء، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى إنكارًا لذلك وإعظامًا عليهم**»[3].

وقد كَان لقي رسول الله ﷺ قبل أن ينـزل عليه الوحي.

وقسمٌ وحَّد الله تعالى بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكرٍ ولا رؤيةٍ ولا نظرٍ في أدلةٍ فهو على نورٍ من ربِّه خالص غير ممتزج بكونٍ. فهذا القسم يحشرون أخفياء أبرياء.

وقسمٌ اختلى إلى نفسه، واطَّلع من كشفه على منـزلة محمد ﷺ فآمن به في العالم الغيب على شهادةٍ منه، وتنبيهٍ من ربِّه. فهذا يحشر يوم القيامة في [ضنائن][4] خلقه، وفي باطنية محمد ﷺ؛ لعمله بعموم رسالته من آدم عليه السلام إلى وقت هذا المكاشف من شدة صفاء سرِّه وخلوص يقينه.

وقسمٌ تَبع ملة حتى ممن تقدَّمه، كمن تهوَّد أو تنصَّر أو تَبعَ ملة إبراهيم، أو مَن

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٩١) بنحوه.

(٣) تقدم في سابقه.

(٤) في (ب) كلمة غير واضحة.

كان من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما علم، وأُعلِمَ أنهم رُسل الله تعالى يدعون إلى الله تعالى لطائفة مخصوصة، فتبعهم وآمن بهم وسلك سنَّتهم، فحرَّم على نفسه ما حرَّم ذلك الرسول، وتعبَّد نفسه لله تعالى بشريعته، وإن كان ذلك كان غير واجب عليه؛ إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثًا إليه، فهذا يحشر مع مَن تبعه يوم القيامة، ويتميز في زمرته.

وقسمٌ طالعٌ في كتب الأنبياء، فرأى شرف محمد ﷺ، وعرف دينه، وثواب من اتَّبعه إذا ظهر بالرسالة، فآمن به وصدَّق على علمٍ، وأُوتي مكارم الأخلاق، فهذا يُحشر مع المؤمنين برسالة محمد ﷺ لا في العالمين سواء كان دخل في شرع نبيٍّ ممن تقدَّمه أو لا.

وقسمٌ آمن بنبيه، وأدرك نبوَّة محمد ﷺ، وآمن به فله أجران، وهؤلاء كلهم سعداء عند الله تعالى إن شاء الله تعالى.

وقسمٌ عَطل فلم يقرُّ بوجود عن نظرٍ قاصر؛ ذلك القصور بالنظر إليه لضعفٍ في مزاجه من قوة غيره من النظائر، فهو تحت المشيئة.

وقسمٌ عطل لا عن نظر؛ بل عن تقليدٍ فذلك شيء مطلق.

وقسمٌ أشرك عن نظر لخطأ فيه طريق الحق مع بذله المجهود الذي تُعطيه قوته، فهو تحت المشيئة.

[وقسمٌ أشرك لا عن استقصاء ونظر، فذلك شقي سواء كان عن تقليدٍ أو لا][1].

وقسمٌ عطلَ بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة والاستقصاء في النظر والتقليد، فذلك شقي.

---

(١) سقط من (ب).

[قال تعالى][1]:﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٧٦)، فتأمَّل ذلك فإنه نفيسٌ.

ومنها: أن يُقبل على العمل بأحاديث الفضائل كلها، ولو قيل بضعف سَندها، فإنها لا تخرج عن الشريعة حتى الأحاديث الموضوعة، فإنه لولا شُعاع الشريعة يشهد لها ما اهتدى الواضع لمعرفة اسم ذلك الحكم الذي وضع فيه الحديث فضلاً عن دليله[2].

وتأمَّل قوله ﷺ: «**لا سبق إلا في خُفٍّ أو حافر**»[3].

كيف زاد الواضع لبعض الخلفاء «أو جناح» حين كان يسابق بالطيور، فلولا ذِكر الخُفِّ والحافر ما اهتدى لذكر الجناح، وكذلك لولا ما ورد في فضائل السور والأدعية ما وضع الواضعون في ذلك شيئًا؛ لعدم شيء يقيسون عليه.

أمَّا الموضوع المفضول فعلاً عمَّا دونه فلا يُعاب به، فما بقى عليه، أي الواضع للفاضل من الأعمال، من لومٍ إلا في عَزْو ذلك اللفظ بخصوصه عن رسول الله ﷺ لا غير.

فحكم الحديث الموضوع في العمل حكم أقوال المجتهدين المأخوذة من شُعاع الشريعة سواءً[4].

وكثيرًا ما يُسأل العلماء عن حديثٍ، فيتولون: لم يلفظ هذا اللفظ، ولكن معناه

---

(١) ليس في (ب).

(٢) في المسألة تفصيل عند أهل الاصطلاح، والكشف والإيضاح، فراجعه.

(٣) رواه أبو داود (٣/ ٢٩)، وأحمد (٢/ ٢٥٦) وابن ماجه (٢/ ٩٦٠).

(٤) هذا إذا تبين جزماً وجه موافقة الموضوع للشريعة ولكن لا يجوز في كل الأحوال روايته دون بيان حاله من الوضع.

صحيح موافق للشريعة، وإذا كان المعنى صحيحًا موافقًا للشريعة فلا يضرنا تغيير اللفظ، فإن الراوي كثيرًا ما ينسى لفظ رسول الله ﷺ، ولكن معناه موقور في باطنه، فيترجم عن ذلك المعنى بعبارته هو، وذلك جائزٌ عن المحققين، فإنهم صرَّحوا بجواز رواية الحديث بالمعنى للعارف، ولا أعرف لحديث رسول الله ﷺ من الصحابة الذين سمعوه من رسول الله ﷺ شفاها من غير واسطة، ثم من بعدهم التابعين وتابع التابعين، وقد رأيت مرة إنسانًا وضع حديثًا، فقلت له: «**مَن كَذب عليَّ متعمِّدًا**»[1]، فقال: قل: للمجتهدين في ذلك، فإن حكمي حكمهم، ما ذكرنا إلا ما يشهد له شريعة، فلا يدخل في الكذب إلا من أدخل في الشريعة ما يخالفها، فقلت له: الحديث عام، فقال: حكمي حكم المجتهدين ولكن أنا عزوت الحديث له صريحًا وهم عزوه حكمًا والحق يجمعنا وإذا علمت من قرائن الأحوال رضا صاحبك بأمرٍ، فلك أن نتكلم به على لسانه لاسيما والشريعة معصومة من التبديل والتغيير إلى يوم القيامة، فسكتُّ عنه والله عليمٌ حكيمٌ.

ومنها: أن يتورَّع عن المبادرة إلى الفتوى ما دام مقلدًا لا يدري دليل الجواب من الكتاب أو السنَّة، لاسيما إذا قام غيره في ذلك مقامه، وخرج بقولنا ما دام مقلِّدًا أهل الكشف والتعريف الإلهي الذين يجيبون بالشريعة الحق الموافق لنصوص الشريعة المنقولة في كتب المحدثين، فإن لهم الجواب والمبادرة إلى الفتوى؛ ليقينهم وعدم ميلهم إلى الرئاسة والصيت.

وفي الحديث: «**نحن لا نولِّي الإمارة أحدًا طلبها وحَرصَ عليها**»[2]، فاعلم ذلك فإنه صحيح.

ومنها: ألا يبادر إلى الإنكار على عامة المؤمنين، ويجرح عقائدهم، ويفتي

---

(١) رواه البخاري (١/ ٤٣٤)، ومسلم (١/ ١٠).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٤٤٣)، ومسلم (٣/ ١٤٥٤) بنحوه.

بإبطال عباداتهم ومعاملاتهم بأمور ولَّدها بعض المجتهدين بعقله ورأيه من غير أن تَرِد صريحة في كتابٍ أو سُنةٍ، وما داموا في سياج قول عالم من علماء السنَّة فلا إنكار عليهم إلا إن خالفوا سنَّة صريحة أو خرقوا الإجماع.

وقد كان شيخنا ﷺ يقول: نحن لا نكلِّف العامة بمقالات أهل الكلام؛ لاستقرار محبة الله ورسوله ومحبة دين الإسلام في قلوبهم، ومَن كلَّفهم بذلك فقد دخل في دُعائه ﷺ حين قال: «**اللَّهم مَن شقَّ على أمتي فشقَّ اللهم عليه**»(١).

وقد أكرم الله تعالى قاصدي الخير من العامة بثلاث خصال لو جمعت في فقيهٍ لشدت إليه الرِّحال:

الأولى: أنهم كانوا يأكلون من كسب يمينهم، وتأكل الناس منهم غنيّهم وفقيرهم، ظالمهم ومحسنهم، عالمهم وجاهلهم، فحماهم الله تعالى عن أكل مال الأوقاف، وأوساخ الناس، وعن بيع دِينهم بدنْياهم.

الثانية: شهودهم جهلهم، وتذكرهم لسوء أفعالهم، وخوفهم من قبيح معاصيهم من غير تأويلها إلى وجهٍ حسن كما يفعله الفقهاء، فيخرجون بأنفسهم من كل مدخلٍ حتى تصير كأنها غير معصية، ولا كذلك العامة بل سمعت بعضهم يقول: يا ربِّ وحقك إني محتاجٌ إلى مغفرتك، ولكن ما لي وجه عندك أسألك فأين هو ممن يرى أن الخلق كلهم يُرحمون، ويُرزقون بوجوده وبركته، فلو لم تكن في العامة إلا شهودهم أنهم [أحقر](٢) خلق الله تعالى المؤمنين وأدناهم منـزلة على الدوام، لكان

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٥٣٦)، والقضاعي في الشهاب (١/ ٢٤١). وقد خرج في هذا الزمان أناس يحملون الناس على القول بالجهة في ذات الله تعالى ويروجون لعقائد منها تجسيم ذات الحق تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. فلم تعد المعضلة ما يحمل المتكلمون من أهل التنزيه الناس عليه، بل ما يكلفهم الوهابية الحشوية مما لا يطيقون ابتغاء الفتنة.

(٢) في (أ): أحق.

في ذلك كفاية في شرفهم.

الثالثة: إتيانهم لعباداتهم بهمةٍ وخشوعٍ وذلةٍ وانكسارٍ، لا تصنُّع فيها ولا رياء، مع كونهم صفر اليدين من علوم ظنيَّة، أو آراء نقليَّة، أو شبه عقليَّة، وحجج وهميَّة، واعتقادات فلسفيَّة لا يقر لهم قرار حتى تحط عنهم الأوزار، فأين للفقيه بهذه الخصال!

ثم اعلم أن العبد إذا وقف يصلِّي فإنما يناجي ربه ﷻ وذلك الحال قد يغيب معه الخاشع المصلي الضعيف للاستعداد عن قَوالب الألفاظ ومخارج الحروف، بل عن المعاني كلها كما يعرف ذلك من يخالط الملوك ويخاطبهم، فلا ينبغي الاعتراض على مصلٍّ إلا إذا خالف ما ورد صريحًا في السنَّة، والسَّلام.

ومنها: أن يتورَّع عن عزوه الأقوال فلا يعزو إلى مجتهدٍ قولاً ولا مذهبًا، إلا إن قاله ولم يرجع عنه إلى أن مات، فجميع ما جاء عن الشارع ﷺ لا يُسمَّى مذهبًا لأحدٍ؛ بل هو شريعة يجب العمل بها على كل مَن تديَّن بالإسلام، وكذلك ما فهمه أصحاب المجتهدين[1] من كلامه لا يُسمَّى مذهبًا.

وقَد كَثر تساهل الناس في ذلك حتى عزوا مفاهيم كلام المؤلفين والشارحين إلى مذهب ذلك المجتهد الذي قلَّدوه، وانحل الأمر إلى تقليد بعضهم بعضًا حتى صار كل كتاب نحو عشرين مجلَّدًا لا يجئ كلام المجتهد إذا جمع منه مجلدًا واحدًا.

وقد ولَّد المقلدون بعقولهم وأفهامهم من قرائن الأحوال أقوالاً كثيرة في الحيل على إسقاط الحقوق والزكوات والعِدد[2]، وغيرها مما هو معلومٌ في كتبهم، وعزوها

(١) كذا بالأصول ولعل صوابها: المجتهد، فيعود الضمير في «كلامه» على المجتهد لا على النبي ﷺ.

(٢) جمع عِدَّة.

لبعض المذاهب، وحاشا الأئمة رضي الله عنهم من ذلك.

ومَن شكَّ فيما نقول من ورعهم فليعرض الأمور التي نُسبت إلى مذاهبهم على حال صاحب ذلك المذهب، هل كان يعامل الله ﷻ بها، أو عباده؟ يظهر له ما قلنا، ويعرف كل ما يصح نسبته للأئمة، وما لا يصح، وبتقدير صحة ما نسبه إليه فليس ذلك عام في حق أهل الإسلام؛ بل ربما هو خاصٌّ بأصحاب الضرورات[1].

فهل كان أحد من الأئمة يصيِّر ماله إلى أن يبقى للحول الذي يجب فيه الزكاة يوم أو يومين، فيملِّك ماله لزوجته أو غلام مثلاً بنيِّة قطع الحول ويقول: لا يلزمني زكاة؛ لأن مالي ما تمَّ له في ملكي حولاً، أو هل كان أحد من الأئمة يحيل مَن له عليه دين على إنسان، فيقبل الحوالة عليه، ثم يذهب فيجده جاحدًا، فيقول للمحال: اذهب فليس لك عندي حق، وهل كان أحدٌ من الأئمة يضاجع زوجته ويتزوج عليها ويؤذيها حتى تبريه من جميع حقوقها؛ لتفدي نفسها، فيقول: الحمد لله الذي أبراني وخَلُصت ذمتي، أو هل كان أحد منهم يبيع سلعة فتخرج معيبة، ثم يحتال لعدم ردها بقوله للمشتري الجاهل بالحكم: اذهب فاعرضها على مَن شئت من الناس فإن ذكر لك أحدٌ أن فيها عيبًا فتعالَ أردُّها لك، فيذهب المشتري ليريها لبعض إخوانه فيقول له: رُدَّها فيردَّها فلا يرضى البائع، ويقول له: سقط الرد؛ لأنك لم ترد على الفور، وقسْ على ذلك جميع ما نُسب إلى الأئمة مما فيه رقة دين.

وقد كَان الإمام أبو حنيفة ﷺ لا يجلس في ظل جدار غريمه، ويقول: كل قرض جرَّ نفعًا فهو ربا، وكأنه يقول: لا ينبغي لمن لم يعلم دليلي أن يفتي بكلامي.

---

(١) انظر أدب الإمام الشرعي السليم، فلم يقل: حتى وإن قال المجتهدون فذلك فكل كلام يؤخذ منه ويرد إلى آخر ما يطنطن به أدعياء الاجتهاد والتجديد في الدين من كلام منسوب إلى الإمام مالك ﷺ مما يناسب رتبته كمجتهد مطلق ولا يناسب حال هؤلاء الأدعياء المتهورين بكل يقين.

وكان مالك وربيعة رضي الله عنهما يقولان: لسنا من أهل العصمة فيما نقول.

وكان الشافعي ﷺ يقول: إذا سمعتم مني قولاً يخالف قول رسول الله ﷺ، فاعملوا بكلام رسول الله ﷺ، واضربوا بكلامي هذا الحائط.

وأمَّا الإمام أحمد فأمره في اتِّباع السُّنة مشهور حتى إنه لم يدوِّن لنفسه قط إلا بعض مسائل في الصلاة، وكان يقول أَوَ لِأحمدَ كلام مع كلام الله تعالى وسنَّة محمد ﷺ؟ فقد تبرَّأت هؤلاء الأئمة كما ترى عن كل ما أضافه مقلِّدوهم إليهم رضي الله عنهم أجمعين مما لم يكن بقاؤهم على العمل به محققًا.

ومنها: وهو أَمَرُّها ألا يقيم ميزان عقله على أحدٍ من المسلمين، ويرى نفسه دون كل جليس جالسه منهم، فمَن تحقق بذلك صار الوجود كله يمده بالخصائص التي أودعها الله تعالى فيه، ومَن لم يتحقق به حُرم المدد من كل جليس لاسيما أرباب الأحوال الذين مرتبتهم الوقوف بين يدي الله تعالى على الدوام لما طبعهم الله تعالى عليه من طهارة الباطن والظاهر، وكثيرًا ما يمكث أحدهم بوضوء واحد الشهر والجمعة والسَّنة وأكثر؛ لأنهم لا يحدثون، وإن ناموا ناموا على حالة مذكِّرة، بل منهم مَن ينامون بأعينهم دون قلوبهم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ.

وأخبرني شيخنا ﷺ: إن سيدي عيسى بن نجم خفير البرلس قريبًا من الإسكندرية ﷺ مكث سبع عشرة سنة بوضوءٍ واحدٍ رضي الله عنهم أجمعين.

فمَن دخل العلم من هذه الأبواب التي ذكرناها في الأدب صار علمه بالله وبأحكامه خاليًا من الشَّك والشُّبهة والضَّلال، واستراح من استشكال حكمٍ أو حديثٍ بآخر، وتفقَّه في الدِّين في مدة يسيرة، ومَن ضيَّع الأصول حُرم الوصول، وفي هذا القدر كفاية.

بيان مشروعية جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل

ولنختم هذه الآداب الشريفة بخاتمة جامعة لسبب مشروعية جميع التكاليف

التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم بميزان جميع ما برز من الأعمال على أيدي المكلَّفين.

اعلم رحمنا الله وإيَّاك أن سبب مشروعية جميع ما كلَّف الله تعالى به آدم ﷺ ونبيه إلى يوم القيامة هو من الأكلة التي أكلها أبونا آدم ﷺ من الشجرة، فكانت التكاليف في مقابلتها كفَّارة لها، فإنه ﷺ لَمَّا أكل الشجرة بغير إذنٍ صريح جعل الله تعالى لَه مذكرًا من نفسه لما وقع له من المخالفة؛ وهو البطنة [المنتنة][1] القذِرة، على خلاف ما كان عليه في الجنة، فكلَّما أخذته تذكَّر، وكذلك أخذت حواء الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة؛ لمساعدتها لآدم ﷺ في ذلك بالتزيين والتحسين وقطعها الثمرة من شجرة النهي لآدم ﷺ حتى أكلها ولا شك.

ثم مَن يأتي المخالفات مستحسنًا لها أعظم من إثم مَن يأتيها مستقبحًا، ثم لا يخفى أن الجنة ليست محلاً للقذر الذي حصل من تلك الأكلة؛ فلذلك أنزلا[2] إلى الأرض، وكان المتولَّد من أكلهما لما نزلا إلى الأرض البول والغائط والدم والنوم، وشهوة الرجال للنساء بالجسد والجماع، وشهوة النساء للرجال كذلك، وتولَّد من ذلك في ذريتهما الجنون والإغماء بغير مرض؛ لأن سببهما فساد المزاج من استعمال مطعومٍ كوني، والأنبياء معصومون من ذلك؛ فلذلك أمرنا بالطَّهارة والتنـزُّه عن كل ما تولَّد من تلك الأكلة حتى القهقهة في الصلاة، والتبختر، والتكبُّر والإسبال في الإزار وغير ذلك مما ورد في الأحاديث والآثار، حتى عن مسِّ المحل الذي يخرج من تلك الفضلات تبعًا للخارج المتولِّد من الأكل لا لذات المحلِّ، وكان ﷺ ينضح سراويله بالماء لملامستها للفرج الملامس لتلك الفضلات، وكان علي ﷺ يتوضأ من مسِّ إبطه وباطن أنفه، ومن مسِّ الأبرص والمحذور، ومِن مسِّ اليهودي والنصراني

---

(١) في (أ): المسترة.

(٢) في (أ): نزلا.

والصليب.

أمَّا في [الأربع][1] الأول فظاهر بتولُّدهم من الأكل، وأمَّا في الثلاث الأُخر؛ فلأن أصل الحجاب الذي هو أصل سائر المعاصي الأكل، ولذلك كان كل مَن جَاع رقَّ حجابه حتى يكون كالملائكة، فإنه محال أن يعصى الله تعالى من غير حجاب على الشهود[2].

قال شيخنا ﷺ: وإنما نقض بعض العلماء الطهارة بخروج العود والحصاة ونحوهما وإن كانا غير متولِّدين من الأكل لما عليها من الطبيعة لا لذاتها.

فهذا كان أصل الحديث، فجعل الله تعالى الماء لنا طهور [نغسل به][3] ما أصابنا من القذر، وإنما استقر الأمر من الشارع ﷺ لنا بالوضوء[4] من ذلك دون الغسل

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): المشهود.

(٣) في (أ): لغسل.

(٤) قال الحكيم الترمذي في علل العبودية: وأمَّا علَّة الوضوء فإن الوضوء: من موضع الحدث من بلة أو ريح يخرج من الجسد، وذلك أن آدم - صلوات الله عليه - كان مُنـزَّهًا معصومًا من أن يجد الشيطان إلى جوفه سبيلاً؛ إذ هو في الجنة، فلما افتتن آدم صلوات الله وسلامه عليه بالتناول من الشجرة ولم يؤذن له، فإنما تناولها بخدع الشيطان، فوجد إلى جوفه سبيلاً مع تلك الأكلة التي نهاه الله سبحانه عنها، فاستقرت المعدة في موضع الفضول، فأنتنَّ ذلك الموضع باستقرار هذا الرجس النجس هاهنا، فصار ذلك وراثة في ولده.

فهناك مستقرة في جوف الآدمي، فإذا خرج ريح الفضول أو بلة؛ فإنما يخرج من مستقره، وأن طريق إبليس من مواضع الحدث؛ فلذلك صار موضع الحدث؛ لأنه طريقة وليس له سبيل من قبل مخرج التوحيد والقرآن، فصار ذلك الطريق موضع حدث، فما خرج منها لزمها التطهير؛ لأنه ينجِّس بنجاسة الشيطان وكفره.

تخفيفًا، وإنما أبقى الأمر علينا بوجوب تعميم البدن إذا خرج المنيُّ، وإن كان كل منهما متولداً من الأكل؛ لأن المني فرعٌ أقوى لذة من لذة البول والغائط، فكانت الغفلة فيه عن الله تعالى أكثر ولذلك نقَضَتَ القهقهة[1] في الصلاة؛ لأنها لا تقع من حاضر مع الله تعالى أبدًا.

وأمَّا أمر الحائض والنفساء بالغسل، وإن لم يكن في ذلك لذة فلزيادة القذر الحاصل منهما، وبُعد الزمن المتخلل بين الحيضتين فلا يشق بخلاف الحدث الأصغر خفف فيه علينا؛ لتكرر سببه في الليل والنهار كثيراً، وإنما جعل على الأعضاء المذكورة في الكتاب والسنَّة دون غيرها من البدن؛ لكثرة [جناية][2] العبد بها، فيتذكَّر جناية كل عضو عند غسله فيتوب ويستغفر، فتطهر الأعضاء ظاهرًا وباطنًا فتخرج الخطايا التي تعلَّقت بها مع الماء أو مع آخر قطرة، فيدخل حضرة ربه مطهَّرًا[3].

ولذلك قال أهل المدينة في الدم: إنه لا يجب فيه الوضوء، و لا في الرعاف ولا في القيء، من هاهنا أخذوه.

وقال أهل الفقه من أهل الكوفة: هذا كله نجس من طريق، فمن طريق النجاسة التزموه، ومن أجل هذه العلة صار نجسًا.

ألا ترى أن ما خرج من النصف الأعلى، والقيء إذا كان من الفمِّ من النخامة والقيء والبلغم ليس بنجس، والدم والعذرة والبول هو من مستقرِّه ومحله وهو نجس بنجاسته، فأينما خرج الدم فهو حدث، ولا يُنظر من أين خرج؟ إنما ينظر إلى نفس الشيء من أين جرى؟ هذا قول أهل الكوفة، وهو أشبه عندنا وأليق فهذه علَّة الوضوء. (ص٢٨) بتحقيقنا.

(١) أي نقضت القهقهة الوضوء إذا كانت أثناء الصلاة فتبطل الصلاة ويعاد الوضوء وهذا على مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ.

(٢) في (أ): جنابة وهو تصحيف.

(٣) قال الشيخ أحمد العلواني: وكذلك الغسل من الجنابة فإن أرواح الطهارة واحدة وصورة

واعلم أنه ﷺ لم يرخِّص في عدم الطهارة من البول والغائط والنوم بشرطه، والريح وزوال العقل أبدًا فيما بلغنا بخلاف بقيَّته، ولذلك اختلف العلماء فيها دون ما تقدَّم، وكان ﷺ يُقبِّل نسائه حتى يقوم إلى الصلاة في بعض الأحيان ولا يتوضأ؛ لأنه ﷺ كان مالكًا لإربه لا تحجبه عن ربِّه شهوة من الشهوات.

وقال لطلقٍ ﷺ حين سأله عن مسِّ الفرج: **«هل هو إلا بضعة منك»**(١)؛ لأن طلقًا كان من الأعراب، فخفف عليه التنـزُّه عن مثل ذلك؛ لأنه لا يتنـزَّه عن مثل ذلك إلا الأكابر.

الغسل من الجنابة تعميم الشعر والبشر بالماء مع نية رفع الحدث الأكبر.

وفي الجنابة روح وحشة في الروح الإنساني وروح جفوة في العالم الروحاني لأن الجنابة إنما تحدث بالروح الشيطاني، والميل النفساني بأرواح من الشهوات وهي الظلمات التي تحول بين المرء وروحه حتى إذا أخرج صورة من صور الإيمان أو روحًا من أرواح الإحسان لم يكد يراها الزوال النور الروحي بالروح الشيطاني المتنزل في العالم النفساني بأرواح الشهوات التي هي كصور المحالات فروح فصل لجزو من الإنسان، وروح وصل بالماء الطهور الذي يعود به بعض ما زال عند تحرك الشهوة من النور بظلمة البشرية، وحركات النفس الردية لا سيما إذا كانت مع فساد الوضع والنية، فيكون ذلك نوع من المهات مشهود في الأرواح، كما يمكنها البصر بروح بصره ظلمات المساء وأنوار الصباح فإن كان فيك نوع من هذا المهات فقلل من هذه الموتات، فإذا مت موتة فاجعلها على روح صالح من النيات، والنساء حبائل الشيطان في كل الأزمان على اللسان الروح المحمدي سيد الأكوان والحبائل الأشراك.

فلا يكون غالب صيده النفوس إلا بهذه الحبائل الذي إذا وقع في أحبولة منها الرجل كان أسير الدهر مسجون القهر بشهوة ساعة أمرها كحرة مجنون أو سكران مفتون، فإذا اغتسلت من هذا الصرع بأمر روح الشرع فتشهد عند الختام، واستغفر فلعلك أن تكون من أرواح تلك الغفلة متخلصا متطهرا، ومن تشهد، واستغفر من بعد الطهور فكلما بعث من القبور، ودخل الجنان بروح الرحمان. وانظر: الأرواح (ص٢٣) بتحقيقنا. (أحمد المزيدي)

(١) رواه النسائي (١/ ١٠١).

وقد بنى المجتهدون أقوالهم على ما ذكرنا، فمن مخففٍ ومشددٍ، وكل [منهما(1) له رجال](2) فلا خلاف بينهم في ذلك حقيقة، وإنما جعل ذلك المقلِّدون، فأخذ كل مقلِّدٍ بالطرف الذي قال به إمامه، وطردوه في حق كل الناس، والأولى حمل كلام المجتهدين على ما إليه الإشارة بما ورد في السنَّة من التفريق في ذلك بين الأقوياء: أي على أخذنا بالعزائم من حيث مرتبتهم في اهتمامهم بتنـزيه عباداتهم عن الشوائب القادحة في كمالها أو أكمليتها والضعفاء: أي عن ذلك.

فمَن قال منهم: لا ينقض الفرج، فمراده للضعفاء كما تقدَّم.

ومن قال: ينقض، فمراده للأقوياء الذين لا يحومون حول الحِمى.

ومن قال: بالوضوء من مسِّ الإبط وباطن الأنف ونحوهما كما تقدَّم؛ فقد بالغ في التنـزُّه.

ومَن قال: تنقض المرأة التي لا تشتهي، دارَ مع الأصل من أنها محل الشهوة.

ومَن قال: لا تنقض، فإذا لم تحصل شهوة فلا تنقض وهو خاصٌّ بالضعفاء.

ومَن قال: تنقض النساء ما عدا المحارم؛ فقد خفَّف.

ومَن فسَّر اللَّمس بالجماع؛ فقد بالغ في التوسع وهو لائق بأضعف الضعفاء.

ومَن قال بنقض لمس النساء مطلقًا؛ فقد بالغ في التنـزُّه والأدب مع الله تعالى؛ لأنه عَمَّ [النساء](3) ولم يخصّ المحارم، ولو أراد تعالى التخصيص لبيَّنته الشريعة المطهَّرة ولو في حديثٍ.

---

(1) الضمير في «منهما» يعود على مرتبتي التشديد والتخفيف.

(2) في (أ): منهما له جدال، وهو تصحيف.

(3) ليس في (ب).

فقد علمت أن من العلماء من دارَ مع الشهوة، ومنهم مَن دارَ مع المحل ولو لم يكن شهوة.

قال شيخنا ﷺ: وإنما اتفق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون غيره من البهائم؛ لأن كل مَن شرفت مرتبته عظمت صغيرته، وقد شرَّف الله تعالى الآدمي وجعله خليفة في الأرض، فكان ينبغي أن يَطهر كل ما خالطه ويقدسه، لكنه غَفَل عن حقيقته، واشتغل بطبيعته، فلذلك صاحبته الأشياء الطاهرة من المطاعم والمشارب فصار ظاهرها، وطيبها نجس قَذِرًا، وبولاً ورجعيًّا.

فالحمد لله على كل حالٍ.

وأمَّا مشروعية الصلاة بجميع أنواعها، فإنما أمرنا بها توبةً واستغفارًا وقربانًا إلى الله تعالى[1].

---

(١) فائدة مباركة: قال الشيخ أحمد العلواني: فصل في روح وصل بأرواح الصلاة أولها: روح النية مع روح التكبير فروح النية روح وصل بأرواح الصلاة فهي الروح الفاتح في روح التكبير روح الصلاة.

وفيها روح فصل للأرواح التي لم تقصد لروح الصلاة ومن أرواح السنة يتحرك بها اللسان وإن يسكن عن روح العمل بضدها الجنان روح فرقاني في روح النية ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (البينة: ٥)، أي بأرواح الصلاة بأرواح الصوم بأرواح الإحسان ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ﴾ فلا يكون في أرواح حياتهم غير أرواح الدين والدين الخالص بالأرواح المحمودة من أرواح العلل بروح الروح في روح الإطلاق بأرواح الربط بروح الإحاطة فالله أكبر روح من أرواح العموم بأرواح التصريف وأرواح الإفاضة لأرواح القوابل ولكل روح واصل إلى أرواح القوابل بأرواح الكمال وما فيها من أرواح الجمال وما أرواح الظلال في الروح الأعظم إلا كأرواح المحال فروح الفصل في روح التكبير أن ما سوى الروح الأعظم من الأرواح كلا مع سراب وهو إن لم يخل من الأرواح الحقبة والأسرار الروحية فلا يشابه الشراب فما عند السراب إلا الظمأ.

وما عند الشراب إلا أرواح الري وأرواح الطهارة والنظافة والنضارة فهل يستوي الروح

الفارغ بالروح المملوء من أرواح الرحمة وأرواح المواهب فروح التكبير روح وصل بروح التعظيم العام يرويه روح الإطلاق بأرواح القهر فوق كل روح من أرواح الخيال أو الظلال.

وفيه روح فصل لكل روح لم يؤذن له أن يدخل في أرواح الصلاة فهو الروح الجامع لأرواح الصلاة المفرق لأرواح العادات، وفيها روح حركة اللسان وروح سكون إلى أرواح الصلاة بأرواح الجنان ومن بعد روح التكبير أرواح مسنونة من أرواح المناجاة بأرواح خاصة من الروح المحمدي.

وذلك روح التوجه في روح قولك: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ بأرواح النشر: ﴿ وَٱلْأَرْضَ ﴾ بأرواح الكثافة حينما برح الإقبال مسلما لأرواح الجمال.

وما أنا من المشركين بأرواح الشهود ولهذا الروح الأعظم ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ بأرواحها ﴿ وَنُسُكِي ﴾ بغيرها من أرواح الحج ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ بأرواح إمداده بأرواح الحياة الفرقانية ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ في عين حياتي عن كل روح ردية ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في روح من الأرواح.

وبذلك الروح ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٣) على كل حال للروح المالك الذي ما سواه في أرواح عظمته هالك ومن يعد هذا الروح روح التعوذ فأعوذ بالله من روح من أرواح اللبس بأمر من الأرواح الشيطانية الفائضة من أرواح الشيطان الرجيم.

وبعد هذا الروح روح ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أرواح المفاتيح بأرواح البركات وروح ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سيد أرواح الثناء ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مفتاح الغنى ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ روح أعظم من أرواح التذكير ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ روح إقرار بكمال العبودية ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ من أرواح المسير على روح نوراني ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. روح من أرواح الاسترشاد ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ روح تلذذ بأرواح ذكر الأحباب ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بروح الحجاب ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ من أرواح العبودية بعدم شهود أرواح الربوبية ومن أرواح الندب روح أمين ومن أرواح السنة بعد روح الفاتحة أرواح من الفرقان على روح من التيسير على أرواح من التفصيل ثم بكون بعد روح القراءة في روح القيام على القادر روح الركوع.

وله روح جد من الأرواح الواجبة والأرواح المندوبة ففي الركوع روح فصل عن روح القيام وروح وصل بروح من أرواح التواضع والخضوع لله وفي روح الركوع روح حركة في روح

من أرواح العبودية.

وروح سكون في روح التعظيم ومـن بعـد روح الركـوع روح الاعتـدال وهـو مـن أرواح الشكر على روح الإطلاق مـن روح الفقـر ومـن أرواح الذلـة ومـن بعـد روح الاعتـدال روح السجود وفي الروح المحمدي: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فليسأل الله ما شاء مـن خير الدنيا».

ومن أرواح الآخرة وفي روح السجود من أرواح السنن:« سـبحان ربي الأعـلى» كـما أن في روح الركوع: «سبحان ربي العظـيم» فـروح الركـوع روح تعظـيم، وروح الـسجود مـن أرواح التقديس لأن روح السجود من أرواح الغنى.

ومن أرواح السقوط عـن رتبـة الوجـد فالـساجد في روح سـجود لا يحمـد بأجـل أرواح المحامد ليس الحمد كله بأرواح القول بل منه ما يكون بإشارة الأرواح ورفع روح الخيال لرفعـة الروح الأعظم عن أرواح العجز المبسوطة في أرواح الـسجود الـذي هـو روح الـساجد الحامـد بأجل المحامد بالإشارة الروحية في روح الهوية فروح السجود من أرواح الإطـلاق في روح مـن الحجاب الرقيق.

ولذلك الروح كان أقرب من روح الركوع ومـن روح القيـام ومـن روح القـراءة فـأرواح الصلاة بعضها فوق بعض في درجات القرب لاختلاف أرواح الحجب فلا بـد لكـل عابـد مـن روح حجاب يليق بحاله في أرواح أقواله وأرواح أفعاله وفي أرواح النيـات وفي أرواح الإشـارة الروحية بإسقاط أرواح السرك فيعم روح الإطلاق في أرواح من الرقـة وفي روح الـسجود مـن أرواح السنن: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله ظاهره وباطنـه سره وعلانيتـه سـجد وجهـي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين».

ويكون روح السجود على سبعة أرواح روح الجبهة واليدين والركبتين وأطـراف القـدمين ولا بد فيه من روح السكون كالركوع والاعتدال فإن أرواح الصلاة أرواح وصل وفصل وحركة وسكون وبعد روح السجود الأول روح الجلوس بروح من السكون،وهو روح بعـث مـن روح الغيبة في أرواح التقديس.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ (طه: ٥٥)، بروح السجود الأول جاءت إشارته وبـروح الجلـوس بـين السجود كانت عباراته ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ بروح السجود الثاني، ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة: يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها، وإنما تكرَّرت في الليل والنهار؛ ليتذكر العبد ما جنَاه كلما أراد الصلاة؛ لأنها كفَّارة، فيتوب ويتطهَّر لدخول حضرة الله تعالى ويسأله المعونة على مَا كُلِّف به في هذه الدار، والهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كُشف للعبد المؤمن لرأي ذنوبه تتحدر يمينًا وشمالاً عنه في حال قيامه وركوعه.

وإنما أمرنا رسول الله ﷺ بفعل النوافل المشهورة جبرًا للخلل الواقع في فرائضنا؛ ولذلك كانت الفرائض تكمل بها في الآخرة، وكلما يشهد العبد كثرة الخلل تأكَّد عليه فعل النوافل.

وأمَّا الصلوات ذات الأسباب كالكسوف والاستسقاء والجنازة ونحوها، فإنما هي دعاءٌ واستغفارٌ لنا ولإخواننا الأحياء والأموات؛ لنؤدي بعض حقوقهم.

وأصل التخويف والآيات والقحط، واحتياج الإنسان حيًّا وميتًا إلى الدعاء إنما هو لأجل المعاصي الناشئة عن الأكل المنهي عنه، فإنه إذا أكل حجب فعصى والله غفورٌ رحيمٌ.

بروح الجلوس الأخير لأرواح التحيات، وأرواح التشهد وأرواح التسليمات والصلوات.

فالجلوس الأخير جامع لأرواح كثيرة لأنه المبعث الأكبر وبأرواح اللقاء عند أرواح التسليم ترتفع أرواح التكاليف وهي من أرواح العفو روح من أرواح الآثار.

قال رجل لأبي هريرة: «إني أخاف من الموت فقال له: أتصلي الصلوات الخمس في جماعة؟ فقال الرجل: نعم، فقال: إذا كنت على هذا الأمر فمت في أي وقت شئت فلا بأس عليك»(1) روح بيان في هذا الروح ألا ترى.

وذلك أن أرواح الجماعة فيها أرواح الدرجات وأرواح الصلاة فيها أرواح الكفارات، وفيها من كل الأرواح الإلهية وختام الصلوات بأرواح الدعوات والبركات بأرواح الأذكار، وأرواح الاستغفار. وانظر: الأرواح (ص٤٤) بتحقيقنا. (أحمد المزيدي)

وأما مشروعية الزكاة بأنواعها [فإنها][1] وجبت علينا؛ لذلك بسبب أكل ما نهى الله عنه من الحرام، فإننا لما أكلنا ذلك حُجبنا عن الله تعالى، فشرهت نفوسنا، وجمعنا المال والقوت لعلة، وضيَّقنا على الفقراء والمساكين، وادَّعينا المُلك لمال سيدنا سبحانه وتعالى، فأمرنا بإخراج نصيب مفروض في كل صنفٍ من الأموال تطهيرًا لنا ولمالنا من الرِّجس الحاصل من منعها.

وأمَّا النوافل في الزكاة كسائر الصدقات، فإنها جبرٌ للخلل الواقع في فرض الزكاة كالصلاة، وكذا القول في الصوم والحج والله غنيٌّ حميدٌ.

وأمَّا مشروعية الصوم بأنواعه وتوابعه، فإنما أمرنا به تطهيرًا واستعدادًا للتوجُّه إلى الله تعالى في قبول التوبة، وسدًّا لمجاري الشيطان التي تنفتح بالأكل، فإذا صام العبد ضاق على الشيطان المسالك حتى لا يجد مسلكًا يدخل منه إلى باطن الصائم بوسوسته أو غيرها.

وإنما كان الصوم المفروض ثلاثين أو تسع وعشرين. لما ورد أن تلك الأكلة مكثت في بطن آدم - عليه الصلاة والسلام - تلك المدة، فانتهاء خروجها بانتهائها، والله عليمٌ حكيمٌ.

وأمَّا مشروعية الحج والعمرة والوقوف في تلك المشاعر، فإنما أمرنا بها تكفيرًا لذنوبنا العظام التي لا يقاومها شيء من الأعمال غير الحج، وأصل ارتكابها أيضًا الأكل المنهي عنه، هذا في حقنا.

وأمَّا في حق آدم - عليه الصلاة والسلام- فلم يكن منه ذنب البتة، ما عدا أكله من الشجرة فأمره الله تعالى بالحج تكفيرًا لها، فكان ذلك آخر ما جعل عليه من الكفَّارات، وأيضًا فإن تلقِّي الكلمات من ربِّه في تلك الأماكن والمنازل وهو قوله:

---

(١) سقط من (أ).

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣).

وإنما كان امتثال الأمر بالحجج واجب علينا في العمر مرةً واحدة؛ لضعفنا وكثرة المشقة في ذلك لاسيما أصحاب البلاد البعيدة.

وقد حجَّ آدم عليه السلام من الهند ماشيًا ألف مرة؛ لأن عزمه مقاوم لعزم جميع بنيه، وإنما رخَّص في ترك العمرة كما ورد في بضع الأحاديث اكتفاءً بالحج؛ لدخولها فيه ضمنًا، فيكتفي مَن تعذَّر عليه تحصيلها بالحج عنها، وإنما كان الوقوف أول الأفعال كلها ولم يكن بالكعبة؛ لأن الجبل كان باب حرم الله الأول الذي دخل منه آدم عليه الصلاة والسلام حين جاء من أرض الهند، فأمر بنيه كلَّهم بالبدأة به والدخول منه؛ لفعل المناسك، فإنهم لما آتوه سبحانه وتعالى، وأحرموا بالحج أوقفهم بالباب الأول يتضرَّعون، ويبتهلون كما وقع لآدم عليه السلام، فلما تضرَّعوا أدناهم من بيته الخاص بحضرة التقريب، فأوقفهم بالباب الثاني الذي هو المشعر الحرام بقرب «المزدلفة»، فلمّا طال تضرُّعهم أمرهم بالنـزول لتقريب القُربان في «مِنى» الذي هو الباب الثالث، فلما قرَّبوها رُفعت عنهم جميع الحجب، وحصل لهم كمال الطهارة، فأُمروا حينئذٍ بالزيارة لبيته المعظَّم على طهارةٍ كاملة، وحرَّم عليهم صوم أيام التشريق؛ لأنهم في دار ضيافة الله عز وجل، ولا ينبغي لضيفٍ أن يصوم عند صاحب منـزل إلا بإذنه.

وكَان تحريم صومها على غير الحاج بحكم التبعيَّة لا بالأصالة؛ لتعلق قلوب الخلق بمحبَّته مثل أفعالهم لتلك المناسك مدة أيام التشريق، حتى كأنهم حاضرون بأجسامهم.

وأمَّا تعلُّق غالب الناس بأستار الكعبة، فهو مثل تعلُّق الرجل بثوب صاحبه إذا كان بينَه وبينه جناية؛ ليصفح عنه ويسامحه، وهذا الفعل لا يفعله كل الناس.

ولذلك قلنا: غالب الناس لما فيه من رائحة قلة الأدب، فكمل بما ذكرنا من الصلاة والزكاة والصيام والحج لآدم عليه السلام كمال التوبة وكمال لذريته بحكم التبع، وإنما قلنا: كمال؛ لأن الندم وقع من حين أكل من الشجرة، والندم توبة كما ورَدَ، وما زاد على الندم إنما هو من لوازمه.

وقد ورد: «**أن آدم عليه السلام لما حجَّ البيت، قال: يا ربِّ اغفر لي ولأولادي، فقال الله تعالى: أمَّا ذنبك يا آدم فقد غفرناه لك حين أكلت من الشجرة، وأمَّا ذنوب بَنيك، فمن أتاني لا يشرك بي شيئًا غفرت له ذنوبه**»[1]، والله تعالى أعلم.

وأمَّا مشروعية البيع والشراء وما أُلحق بهما مِن السلم والرهن والعارية والوديعة والمساقات والقروض والإجارة واللقطة وغيرها، فإنما ذلك كله دفعٌ للحيف والجور والظلم وغيرها، الناشئ ذلك من أكل ما نهى عنه، شرهت نفسه فامتنع من قرض المال للمحتاج إليه إلا بالربا وغصب الأموال، واحتكر الطعام، وأنكر الحقوق، فأُمر بإعطاء كل ذي حقٍ حقه على يد شهود عدول.

وأمَّا الهبات والمنح والهدايا، فإنما شُرعت شكرًا للربح الحاصل بالبيع والشراء، فهو نوعٌ آخر خلاف الصدقة؛ لأنها من مكارم الأخلاق، والله غنيٌّ حميدٌ.

وأمَّا مشروعية النكاح وبيان حدوده وتَوابعه حتى لا يتعداها؛ فإنما سبب ذلك أيضًا الأكل المذكور، فشرع ذلك لتكثير النسل والذرية ليستغفروا لوالديهم ما جَنوه واقترفوه، وكان دفع شهوة الزِّنا الحاصل من أكل الشبهات والحرام بحكم التبع.

وأمَّا الصداق والعدل بين الزوجات؛ فإنما شرع ذلك استجلاباً للخواطر المساعدة على وجود النسل وعدم الخوف والظلم الناشئ من حجاب الأكل للذكور.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٦٧)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ١٧٦).

وأمَّا الخلع وما بعده فسببه أيضًا الأكل لاسيما إن شبع من حرامٍ أو شبهةٍ أو حلالٍ فإنه إذا شبع خاصم وفجر، وكان من أقرب الناس إلى ذلك زوجته فضاجرها حتى سألت الطلاق فخلعها، أو طلَّقها ابتداءً، أو بطر عليها، فطلب [أعلا منها][1]، أو حَلف [ألا][2] يطأها أو ظاهر منها، فإذا راقت نفسه من الكدر طلب رجعتها أو لم يطلب، وكانت العدة وكذلك الاستبراء من توابع النكاح بفراقٍ أو طلاقٍ أو زوال فراش، وكانت النفقات في ذلك من توابعه إمَّا في مدة النكاح أو بعده بعد وجود حملٍ.

وأما نفقة الوالدين والأقارب والرقيق والبهائم، فإنما أمرنا بها؛ لغفلتنا عن تأدية حقوقهم لحجابنا الحاصل بالأكل، فلولا الحجاب المذكور لما احتجبنا أن نُؤمر بذلك؛ لعظم حق مَن ذكر علينا من نعمٍ سبب الإيجاد، وتحمُّل الهموم عنَّا وخدمتنا ليلاً ونهارًا، وحملنا ومتاعنا إلى بلدٍ لا نطيق المشي إليه، وحرث أرضنا، وطحين قمحنا، ودوران دواليبنا، ونحو ذلك من مصالحنا، والله رءوفٌ رحيمٌ.

وأمَّا مشروعية إقامة الحدود من قتل النفس فما دونها، [فكون][3] سببه الأكل ظاهر لا يحتاج إلى بيان، فإن العبد إذا طال به الجوع تكلمه لا يرد لك جوابًا من قلة حركة جوارحه، فإذا أكل وشبع فسق وتعدى الحدود، فقَتلَ النفسَ، وقَطع العضو، أو سَرقَ الأموال، وقَطع الطريق، وشَرب الخمر، وزنا، وحلف الأيمان الفاجرة، وكثر منه لغوِ اليمين وبخل عن إخراج المال فلم يسمح له إلا على سبيل النذر عند رفع الكربلغ والشر عنه، وكذلك إذا شبع يدَّعي الدعاوى الباطلة، وتحمُّل الشهادة على غير علمٍ منه، ولولا الأكل لما كان وقع منه شيء مما ذُكر.

---

(١) في (أ): اعلانها.

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (أ): فكذلك، وفي (ب): مُكَوَّن، وكلاهما تصحيف.

فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الجرائم أن ينقادوا لما جعله الله تعالى عليهم من الحدود المقدَّرة في الشريعة، ومَن لم ينقدَّ منهم لذلك دُعي إلى الإمام فأقامها عليه قهرًا وجبرًا؛ كل ذلك حفظًا لنظام هذه الدار من الفساد الحاصل من حجاب الأكل، وإنما شرع في بعض الحدود الكفَّارات بالعتق والإطعام والصوم وكسوة المساكين لزيادة [القبح][1] في ذلك الذنب، والله تعالى أعلم.

وأمَّا مشروعية نصب الإمام الأعظم ونُوابُه حتى القضاة ونُوابهم وأتباعهم؛ فإنما شرع ذلك لتنفيذ جميع ما ذكرناه وما لم نذكره وسبب ذلك أيضًا حجاب الأكل

فإنه سبب لتعدِّي جميع الحدود كما قدمنا، ولولاه لما احتجنا لنصب إمامٍ، ولا أحد من نُوابه، وكنَّا نعطي الحق الذي علينا لأربابه قبل المطالبة، ولذلك لم يعهد عهد ولي من الأكابر احتاج للوقوف بين يدي حاكم حتى يقضي عليه بحق غريمه.

فلمَّا لم يكن لأمر الخلق كلهم يتمشِى على هذا النسق [احتجنا][2]؛ لنصب من ذكر، فلا بُدَّ مما كان كما كان.

ولولا الإمام ونُوابه لما انتظم أمر الدنيا والدين، ولا كان [جهادٌ][3]، ولا جمع عساكر، ولا بيتُ مالٍ ينفق منه عليهم، وضاعت مصالح الخلق أجمعين، فالحمد لله رب العالمين.

بيان ميزان جميع الأعمال البارزة على أيدي المكلَّفين

وأمَّا ميزان جميع الأعمال البارزة على أيدي المكلَّفين، فاعلم يا أخي أن جميع ما برز لا يخرج عن ثلاثة أحوال:

---

(١) في (أ): الفج.

(٢) في (أ): احتجبنا.

(٣) بالأصول: جهاداً، وهو تصحيف.

إمَّا أن يكون محمودًا.

وإمَّا أن يكون مذمومًا.

وإمَّا أن يكون مُباحًا.

فإن كان محمودًا وهو الواجب والمندوب، فاحمد الله على بروزه على يديك، واستغفر الله من تقصيرك فيه.

وإن كان البارز مذمومًا، وهو الحرام والمكروه، فاحمد الله تعالى على تقديره عليك، واستغفر الله تعالى من مخالفتك أمره.

وإن كان البارز مباحًا، فإن كنت من رجال الله، فاستغفر الله تعالى، فإن المباح ليس له سبيل، فهو من قسم المذموم عندهم، وإن كنت من عامة الناس فلا حكم عليك فيه، فإن الإنسان كالبوَّاب على ما برز من الأعمال، ولا يلزمه بعد الوقوع إلا الدواء، ولم يتكلَّف أحد بمنازعة الأقدار ليردها عنه، فإن العبد أقل من ذلك، ولو [نازع الأقدارَ عبدٌ][1] ليقع في أمرٍ ثم لم يقع تبيَّن عدم تقديرها عليه وإنها ما كانت إلا خواطر، ومحيت عنه. وأمَّا إذا لم تمح فلا بُدَّ من الوقوع.

ولم يُنـزِلِ اللهُ داءً إلا وأنزل له شفاء، فما [تعين داءٌ بلا دواءٍ][2] أبدًا حتى لو عصى الله تعالى عبد من عبيده سبعين سنة ثم ندم وقال: أستغفر الله من جميع ما وقعت فيه إلى وقتي هذا [انسحب] حكم الاستغفار على ذنوب هذه المدة كلها، وهذا [الذي][3] يلزمه بعد معرفة حدود الشريعة، والله غفورٌ رحيمٌ.

---

(١) في (ب): نازعت الأقدارُ عبداً.

(٢) في (أ): عبارة مضطربة.

(٣) ليس في (ب).

خاتمة مخطوطي الكتاب

قال مؤلفه الفقير: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشعراني: [وافق](1) الفراغ من تأليفه في سابع رجب الفرد [الحرام](2) سنة ٩٣٣هـ ثلاث وثلاثين وتسعمائة.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

وقال كاتبها: وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب في يوم الاثنين ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٠٣ ألف وثلاثمائة وثلاثة من بعد الهجرة النبويَّة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيَّة وسلِّم تسليمًا كثيرًا على يَد كاتبه الفقير إلى الله: علي بن سالم بن محمد بن أحمد الشافعي مذهبًا، البشبيشي بلدًا، غفر الله له ولوالده ولمشايخه ولجميع المسلمين(3).آمين والحمد لله رب العالمين

---

(١) في (ب): وقع.

(٢) سقط من (أ).

(٣) كُتب في هامش النسخة (أ): قوبلت ثانيًا على نسخة أيضًا تاريخها سنة ٩٣٣ هـ، وذلك في يوم الأحد الموافق ١١ صفر الخير سنة ١٣٠٤ من هجرة النبي ﷺ انتهى.

وجاء في آخر النسخة (ب) هذه الأبيات: من كلام الشيخ حسين القصيف:

لله در أنـاس للسـوي تركـوا ... وكابـدوا في هـواه الشوق وارتبكـوا

حـاديهم الوجـد حتـى فيـه قـد هلكـوا ... روحـي الفـدا لهـم فـيما لـه سـلكوا

وله أيضاً:

يـا مـشغل القلـب دع عنـك اشـتغالاتك ... وأقبـل عـلى الله واغتـنم كـل أوقاتـك

فرؤيـة الغـيرِ تـدمير لحالاتـك ... فـانهض سريعـاً عسى [تُحـصَنْ] بجـذباتك

وله أيضاً:

أقبل على الله في سرك وفي الإعلان ... واشطح عن أهل والأصحاب والخلان

وطهر القلب وأدخل حضرة الإحسان ... وأشرب بكأس الصفا مع من خمرة الندمان

وله أيضاً:

عن رؤية الغير فاشطح إن تكنْ عاشقْ ... وفيه فافتى لتبقى والسوى فارق

وانهض إليه سريعا والدجى غاسق ... وبين حاليك طابق إن تكن صادق

وله أيضاً:

يا صاحب القال دعني من مقالاتك ... ما القصد إلا العمل في كل حالاتك

أكثرت من شك ونفعك لك قد فاتك ... يا ويح نفسك لقد ضيعت أوقاتك

لابن الشيخ حسين

طرقت أبواب سادتي قالوا: مين؟ ... أجبتُ دستورْ ناخذْ عهدكم عن مين

بالهمز والها قالوا قبلها لامين ... سلم أمورك واتبعنا وكن لامين

لبعضهم

ومالي سوي عين نظرت لحسنها ... وذاك لجهلي بالعيون وغرتي

وقالوا به في الحب عينٌ ونظرةٍ ... نعم صدقوا: عين الحبيب ونظرتي

فائدة للحفظ

قال النووي في شرح المهذب:

من قال عند إطباق الكتب:

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين

لا ينسى ما حفظه انتهى

وكان الفراغ من تحقيقه على أيدي الفقيرين إلى الله تعالى محمد عبد القادر نصار النقشبندي وأحمد فريد المزيدي الأحمدي، في رابع عشر رجب الفرد من عام ١٤٢٧هـ

هذه العقيدة الجامعة لأمهات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة

نقلاً من كتاب العقائد الكشفية

للعارف بالله

سيدي عبد الوهاب الشعراني

رضي الله عنه

أمين

تمهيد

وإتماماً لفائدة الكتاب وحسماً لما فيه من بعض القضايا الخاصة بعقيدة أهل السنة والجماعة، فقد ارتأينا أن نثبت هنا عقيدة المؤلف ﷺ كما استخلصها بعضهم من كتابه المسمى القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية.

وقد وجدناها محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٦ عقائد تيمور.

وكنا نظن أن الاختصار ليس للمؤلف ﷺ حتى وجدناه صدَّر كتابه القواعد الكشفية بهذه العقيدة وهي من أواخر ما ألفه الإمام في هذا الباب إذ ذكر في مقدمة ((القواعد الكشفية)) أنه ألفه سنة إحدى وستين وتسعمائة، فهي تمثل آراء المؤلف المعتمدة في العقيدة، خاصة وقد تبين لنا بمطالعة كتب الإمام الشعراني وبسبب طول عنايته بكتب الشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن عربي ﷺ أنه كان يتابع في مؤلفاته الأولى الشيخ الأكبر في بعض مسائل ثم قد يعود عنها إلى رأي أهل السنة والجماعة الأشاعرة أو إلى ما أداه إليه اجتهاده.

وقد وافق بحمد الله غرضنا من إثبات هذه العقيدة في كتابنا هذا غرض المؤلف إذ نص كما سيلي على أن من استشكل شيئاً من أقواله في كتابه القواعد الكشفية فليرده إلى هذه العقيدة الجامعة المحكمة التي صدَّر بها الكتاب المذكور.

بسم الله الرحمن الرحيم

[ولنشرع في بيان جملة صالحة من الأجوبة الصالحة مما يتوهمه الجهلة والملحدون في جانب الحق القدوس وأسمائه وصفاته مصدراً ذلك بعقيدة صالحة جامعة مع شدة اختصارها لأمهات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة ليرجع إليها من استشكل شيئاً من الأجوبة الآتية[1]. فإنها مزيلة إن شاء الله تعالى جميع إشكالات المحجوبين وزاجرة جميع الملحدين فأقول بالله التوفيق][2].

يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تعالى إلهٌ واحد لا ثاني معه، وأنه تعالى منزه عن الصاحبة والولد وأنه تعالى لا شريك له، مَلِكٌ لا وزيرَ له، صانع لا مدبر معه.

وأنه تعالى موجود بذاته من غير افتقار إلى مُوجِدٍ يوجدُه بل كل موجود في الأرض والسموات مُفتقِرٌ إليه في وجوده، فالعالمُ كله موجودٌ به وهو موجودٌ بذاته، لا افتتاح لوجوده ولا نهايةَ لبقائه، بل وجوده مطلق مستمر قائم بنفسه.

وأنه تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان، ولا عرضٍ فيستحيل عليه البقاء، **ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء**، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئي للمؤمنين إذا شاء بالقلوب والأبصار، استوى تعالى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى، وله الآخرة والأولى ليس له تعالى [مثل][3]

(١) يقصد أجوبته في كتاب القواعد الكشفية عما استشكل من مسائل الصفات الإلهية.

(٢) ليس بالمخطوط وأثبتناه من كتاب القواعد الكشفية ط/ دار النهار ٢٠٠٤ تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول.

(٣) سقط من المخطوط وأثبتناه من كتاب القواعد الكشفية بالمطبوع.

معقول ولا دلت عليه [النقول][1] لا يحده زمان ولا يقله مكان، بل كان ولا مكان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان، خلق التمكن والمكان وأنشأ الزمان.

وقال أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المحدثات، تعالى أن تُحَلَّه الحوادثُ أو يَحُلَّها أو تكون قبله أو يكون قبلها، بل يقال: كان الله ولا شيء معه، فإن القبل والبعد من صفات الزمان الذي أبدعه، فلا ينبغي أن يطلق عليه إلا ما أطلقه تعالى على نفسه، فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

خلق الله العرش وجعله حد الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء، أخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء.

أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق، وأَخْلَقَ[2] ما خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمنا، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خُلفا، وسخر لها ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه.

خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه بذلك سبق فلابد أن يخلق ما خلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وكيف لا يعلم شيئاً خَلَقَه، ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)).

---

(١) بالمخطوط العقول وما أثبتناه من كتاب القواعد الكشفية أقرب إلى الصواب.

(٢) أي أبلاهم وأفناهم.

علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالماً بالأشياء كلها، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء. بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها، وبه حكَّم عليها من شاء وحكَمها، يعلم الكليات والجزئيات على الإطلاق، لا يحتاج علمه بها إلى تفصيل كما هو علم خلقه فهو عالم الغيب والشهادة تعالى عما يشركون.

فعال لما يريد، فهو المريد لجميع الكائنات في الأرضين والسموات لم تتعلق قدرته بإيجاد شيء حتى أراده، كما أنه تعالى لم يرده حتى علمه، إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى ما لم يعلم، أو يفعل الخير الغير المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي، كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات من غير ذات موصوفة بها.

فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا رِبح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد، ولا سهاد ولا رقاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لُب، ولا شيءٌ مِن جميع المتضادات والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مرادٌ للحقِ جلَّ وعلا.

وكيف لا يكون مراداً له؟ أم كيف يوجِدُ المختارُ ما لا يريد لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، ولذلك قال أهل السنة إن الحق تعالى إذا أراد من خلقه شيئاً لم يقسمه لهم لم يقدروا على إيجاده بخلاف ما إذا أراد بهم ذلك، ففرقوا بين ما يريد بهم، ويريد منهم وهو أمر دقيق.

وأنه تعالى كما علم فأحكم، وأراد فخص، وقدر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره شدة القرب فهو البعيد، يسمع كلام النفْس في النفْس، وصوتَ المماسةِ الخفيَّةِ عِنْدَ اللمسِ، يرى السوادَ في الظَلْماءِ، والماءَ في الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير.

تكلم تعالى لا عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلَّم به موسى عليه الصلاة والسلام، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف، لأن كلامه تعالى من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه تعالى من غير أصمخة ولا آذان كما أن بصره تعالى من غير حدقة ولا أجفان، كما أن إرادته تعالى من غير قلب ولا جَنان، كما أن قدرته من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن الأركان، كما أن ذاته وصفاته لا تقبل الزيادة ولا النقصان.

فسبحانه، سبحانه من بعيد دان، عظيم السلطان، جسيم الإحسان، عميم الامتنان. كل ما سواه فهو عن جوده فائض، وفضله وعدله الباسطُ له والقابض، فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته إلا إياه، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦) ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٣) ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤٩).

وكما أجبنا في هذه العقيدة عن الله تعالى أوردنا كلام الملحدين في ذاته وصفاته، كذلك نجيب عنه تعالى ونرد كلام الملحدين في شرعه وشرع أنبيائه وما يترتب على ذلك من الآثار في ضمن قولنا وكما شهدنا له تعالى بالوحدانية وما يستحقه من الصفات العلى فكذلك نشهد لرسول الله ﷺ بالرسالة إلى جميع العالمين، فإن في ضمن ذلك الجواب عن الله تعالى اقتضاءً بحكم التعليق والخصوصية به، فنشهد له ﷺ بأن

الله تعالى أرسله بشيراً ونـذيراً﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (الأحـزاب: ٤٦) وقال في حقه ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠)، وقـال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠).

ونشهد أنه ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه، وأدى الأمانة ونصح أمته ووقـف في حجة الوداع على كل من حضر من الأتباع، فخطب وذكر ووعظ وأنذر وخـوَّف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحداً دون أحد عن إذن الواحد الصمد.

وقال: هل بلغت، فقال السامعون جميعا: قد بلَّغـت يـا رسـول الله، فقـال ﷺ: اللهم أشهد ونؤمن بكل ما جاء به رسول الله ﷺ مما علمنا معناه ومما لم نعلـم معنـاه، فما علمنا وتحققنا من جمله ما جاء به، وقرر أن الموت عن أجل مسمى عنـد الله تعـالى إذا جاء لا يؤخر.

فنحن مؤمنون بهذا إيماناً جازماً لا ريب فيه ولا شك، كما آمنا وصدقنا وأقررنا أن سؤال منكر ونكير في القبر حق وأن عذاب القبر ونعيمـه حـق وأن البعـث مـن القبور حق وأن العرض على الله تعالى حق، وأن الحوض حق وأن الميـزان حـق، وأن تطاير الصحف حق، وأن الجنة حق وأن النار حـق، وأنـا فريقـاً في الجنـة وفريقـاً في السعير حق، وأن كرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفـة لا يحـزنهم الفـزع الأكـبر حق، وأن شـفاعة الأنبيـاء والملائكـة وصـالحي المـؤمنين حـق، وأن شـفاعة أرحـم الراحمين حق، وصورتها كما أعطـاه الكـشف الـصحيح أن أسـماء الحنـان واللطـف والرحمة تشفع عند أسماء الانتقام والجبروت والقهر.

ونؤمن بأن إيمان أهل اليأس لا ينفع صاحبه ولا يسعد به لعدم قبولـه، وذلـك كإيمان فرعون ونحوه ممن آمن، وقد حضره الموت وعاين أسبابه لأنـه إيـمان في غـير محل التكليف، فأشبه إيمان أهل النار، وكذلك نؤمن بأن جماعة من أهل الكبـائر مـن

الموحدين يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة، وأن كل ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى عُلِمَ معناه أو جُهِلَ حق، وأن التأبيد للموحدين في النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين والمتكبرين والمعطلين والمجرمين في العذاب الأليم حق.

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة إلى قيام الساعة، وهي بحمد الله تعالى عقيدتنا عليها حيينا وعليها نموت، نفعنا الله بهذا الإيمان وثبتنا عند الانتقال إلى دار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دارٍ سرابيلُ أهلِها القَطران وجعلنا من العصابة التي تأخذ كُتُبَها بالأيمان، ومَن انقلب من الحوض وهو ريان ورجح له الميزان، إنه المنعم المحسان، آمين اللهم آمين.

ثم لا يخفى عليك يا أخي أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة تدور على مدار قطبين أحدهما الشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي والثاني الشيخ الإمام أبو الحسن الأشعري، فكل من تبعهما أو أحدهما اهتدى وسلم من الزيغ والفساد في عقيدته وقد ظهر أتباع الماتريدي فيما وراء نهر سيحون فقط، وظهر أتباع الشيخ أبي الحسن في أكثر البلاد كخراسان والعراق والشام ومصر والمغرب وغير ذلك من البلاد الإسلامية، فلذلك صار غالب الناس يقولون إذا مدحوا عالماً: فلان عقيدته أشعرية صحيحة وليس مرادهم نفي صحة عقيدة غير الأشعري.

كما أشار إلى ذلك في شرح المقاصد بقوله: واعلم يا أخي أن علماء الإسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى، وإنما وضعوها إرداعاً للخصوم الذين جحدوا الإله أو الصفات أو بعضها، أو الرسالة أو رسالة محمد ﷺ بخصوصها، أو حدوث العالم أو الإعادة في هذه الأجسام بعد الموت، أو أنكروا النشر أو الحشر أو نحو ذلك مما لا يصدر إلا من المكذبين للرسل والكتب، فطلب علماء الإسلام إقامة الأدلة القطعية عليهم ليرجعوا إلى اعتقاد وجوب الإيمان بما جاءت به الرسل عن ربهم عز وجل لا غير، وإنما لم يبادوا إلى قتلهم بالسيف رحمة

بهم ورجاءً لرجوعهم إلى طريق الحق، فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي يتناهون بها إلى دين الإسلام.

ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصحُ من الراجع بالسيف إذِ الخوفُ قد يحملُ صاحبَه على النفاق. وصاحب البرهان ليس كذلك. فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك.

ثم لا يخفى أن ذلك الشخص إذا كان مؤمناً بالقرآن قاطعاً بأنه كلام الله عز وجل، فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول إلى أدلة العقول المجردة عن الشرع، فإن القرآن كله دليل قطعي سمعي عقلي.

فقد أثبت أنه سبحانه منزه عن أن يشبهه شيء من المخلوقات المحدثات أو يشبه هو شيئاً منها بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١) وبقوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الصافات: ١٨٠).

وأثبت رؤيته في الآخرة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٣) وبمفهوم قوله تعالى في الكفار ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥)فدل على أن المؤمنين يرونه.

وأثبت نفي الإحاطة بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣) وبقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (النساء: ١٢٦).

وأثبت كونه تعالى قادراً بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة: ١٧) ونحوها من الآيات.

وأثبت كونه تعالى عالماً بقوله تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق: ١٢).

وأثبت كونه تعالى مريداً بقوله تعالى فعال لما يريد، وأثبت كونه تعالى سميعاً بقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ (المجادلة: ١) الآية.

وأثبت كونه تعالى بصيراً بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الممتحنة: ٣).

وأثبت كونه تعالى متكلماً بقوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٤).

وأثبت كونه تعالى حياً بقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وأثبت تعالى إرسال الرسل بقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ (الحج: ٥٢)، وبقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾ (يوسف: ١٠٩).

وأثبت رسالة محمد ﷺ بخصوصها بقوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح: ٢٩).

وأثبت أن كل ما سواه خلقه تعالى بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦) وبقوله:﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ (الزمر: ٦٢).

وأثبت الجن بقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وأثبت دخولهم الجنة بقوله تعالى:﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن: ٥٦).

وأثبت حشر الأجساد بقوله تعالى:﴿ بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ (العاديات: ٩) وغير ذلك من أحوال الآخرة التي يجب الإيمان بها، قال تعالى:﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَـٰبِ مِن شَيۡءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨)

وأثبت المعجزة لنبينا ﷺ بقوله تعالى:﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣) فإن القرآن كله معجزة.

فعلم أن من أراد حفظ عقيدته من الزيغ والفساد والشبه والضلالات فليأخذه من القرآن العظيم، فإنه كله متواتر قطعي معصوم[1].

---

(١) إلى هنا ينتهي النص في مخطوط تيمور وفي القواعد الكشفية كلام زائد على العقيدة وإن كان لا يخلو من فائدة فأحببنا أن نثبته في هذه الحاشية، وهو ذا:

وانظر يا أخي إلى نبينا محمد ﷺ لما قال له اليهود: «انسب لنا ربك يا محمد» كيف تلي عليهم سورة الإخلاص ولم يقم عليهم من أدلة النظر دليلاً واحداً فقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أثبت الوجود الحق قوله: ﴿ أَحَدٌ ﴾: نفي العدد، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾: نفي الجسمية، وقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾: نفي الوالد والولد، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: نفي الشريك والصاحبة.

أفيطلب صاحب الدليل العقلي من المؤمنين البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي. إن ذلك لجهلٌ، وياليت شعري من يطلب معرفة الله بالدليل ويكفر كل من لا ينظر في الأدلة كيف حاله هو قبل النظر؟ وفي حال النظر؟ هل هو مسلم أم لا؟ وهل كان يصلي ويصوم أم لا؟ وهل كان ثبت عنده أن الله تعالى موجود وأن محمداً رسول الله أم لا؟.

فإن كان معتقداً لهذا كله فهو حال العوام فليتركهم على ما هم عليه من الإيمان على قدر ما عندهم في الفطرة، وإن لم يكن معتقداً لهذه الأمور إلا بعد نظره في أقوال المتكلمين فنعوذ بالله من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر إلى الخروج من الإيمان.

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري – رحمه الله – يقول: «عقائد العوام صحيحة بإجماع كل متشرع صحيح العقل، وهم مسلمون ولو لم ينظروا في كتب المتكلمين، لأن الله تعالى أبقاهم على صحة العقل بالفطرة الإسلامية إما بتلقين الوالد المتشرع أو الإلهام، وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه الوارد في القرآن، وهم على صواب ما لم يعتقدوا ما يقدح في إيمانهم، أو ينظر أحدهم إلى التأويل وأنه اعتقد ما يقدح في إيمانه فحكمه ظاهرٌ، وإن تطرَّق إلى التأويل خرج عن حكم العوام والتحق بأهل النظر والتأويل، وهو على حسب تأويله، وعليه يلقى الله تعالى فإما مصيب، وإما مخطئ بالنظر إلى ما يناقض ظاهر الأدلة». انتهى.

وفي هذا القدر كفاية.

[وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي

وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين]



وقد بسطت الكلام على ذلك في مقدمة كتابنا المسمى: «باليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، وهو مجلد ضخم ما صنف في الإسلام مثله فيما أظن، والحمد لله رب العالمين. فتأمل يا أخي في هذه العقيدة العظيمة، وأجب عن جناب البارئ جل وعلا كل من يلحد في ذاته وصفاته بما ينافيها. فلا كل ما كان بالضد مما فيها فهو إلحاد. وإن عسر عليك استخراج الأجوبة عن البارئ جل وعلا من صدر ألفاظها فانظر في هذه الأجوبة المرتبة على الأسئلة فإنها كلها رد على الملحدين.

فهرس